بسم الله الرحمن الرحيم

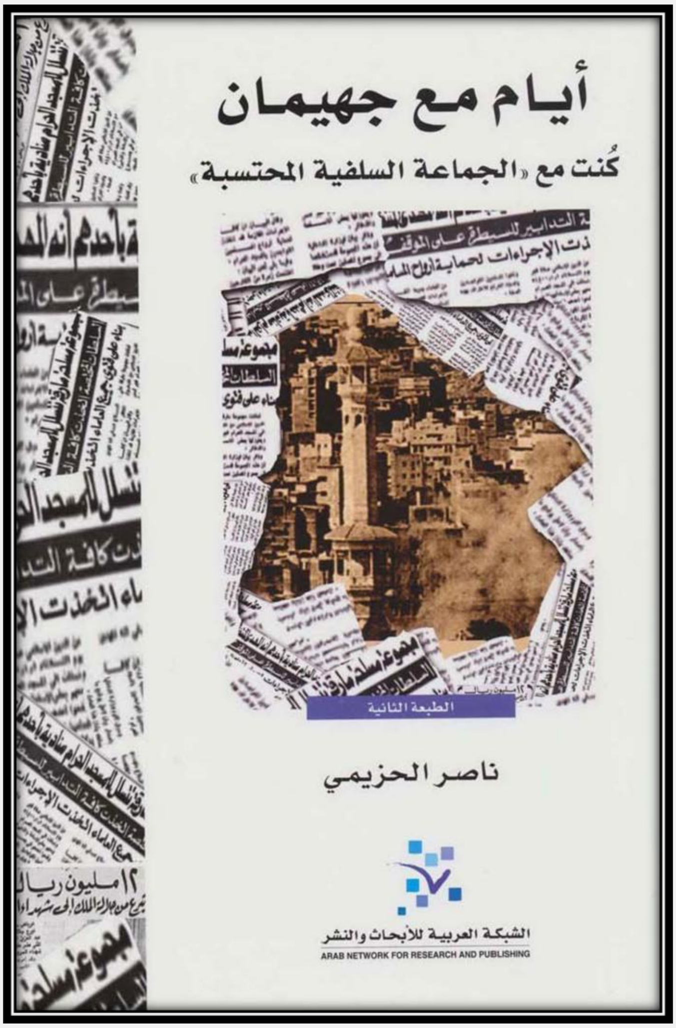

أيام مع جهيمان

كُنت مع "الجماعة السلفية المحتسبة"

هذا الكتاب

"ذكرى حادثة الحرم قسمت التاريخ في ذاكرة السعوديين إلى ما قبل وما بعد (١ محرم ١٤٠٠هـ) فاختلفت رؤية كل قضية في المجتمع بعد هذا التاريخ الذي تحول معه السياق الاجتماعي كلياً، وأحدث انقلاباً في المفاهيم والتصورات مازالت آثاره باقية بعد أكثر من ثلاثة عقود.

فقد كان الحدث -بعيداً عن القراءات السياسية- يمثل صدمة نفسية للإنسان المسلم في أي مكان عندما تمس قدسية أطهر بقعة في وجدانه باستعمال مبادئ وشعارات إسلامية!

أيام مع جهيمان، يأتي هذا الكتاب للأستاذ ناصر الحزيمي ليُحدث نقلة في الوعي بحقيقة ما حدث ويقدم مشاهدات حية عن سيرة وتطورات هذا الفكر. لقد تمكّن بأسلوب جذاب ولغة سهلة وغير متكلفة من كشف الكثير من الملامح الداخلية للجماعة السلفية المحتسبة، وتحولاتها منذ بداياتها في منتصف الستينات. تبدو قيمة هذا الكتاب أنه كشف جوانب وطبائع شخصية عند جهيمان وجماعته، حيث تمكن من تقريب سلوكيات وتفكير ومهارات هذه الشخصية للقارئ كما عايشها، لتجيب على تساؤلات كثيرة وتزيل حالة من الغموض بأسلوب يخلو من التعسف بالألفاظ والتهويل بالتحليلات.

هذا الكتاب هو خطوة ريادية في تقديم مذكرات شخصية حول أحداث مهمة في مجتمعنا السعودي، وكوثيقة تاريخية تفوق أهمية دراسات وكتب ومقالات، لأنها جعلت القارئ أمام المادة الخام لقصة ما حدث".

عبد العزيز الخضر

ناصر الحزيمي
الشبكة العربية للأبحاث والنشر
بيروت - لبنان
الطبعة الثانية، ٢٠١١م

المحتويات

مقدمة ٢
بدايات ٤
في مكة ٧
في المدينة ١٣
العودة إلى الرياض من جديد ١٨
الدخول إلى الحرم ٢٢
أفكار جهيمان ٢٤
بيان رفع الالتباس ٣١
الحاكمية الملحمية في فكر جهيمان ٣٤
المُلك الجبري ٣٥
الخلافة على منهاج النبوة ٣٥
الآخر في فكر جهيمان ٣٥
الملحق رقم ١ - الأمة الحالمة: دور الحلم في تكريس الخطاب الإسلامي السلفي ٣٧
الملحق رقم ٢ - خطبة الحرم ٤٢
الملحق رقم ٣ - لقاء مجلة "المجلة الالكترونية": خطيئة جهيمان ٤٩
الملحق رقم ٤ - حوار مع الأستاذ ناصر الحزيمي ٥٤

مقدمة

عبد العزيز الخضر- ٤ سبتمبر ٢٠١٠م

ذكرى حادثة الحرم قسمت التاريخ في ذاكرة السعوديين إلى ما قبل وما بعد (١ محرم ١٤٠٠هـ) فاختلفت رؤية كل قضية في المجتمع بعد هذا التاريخ الذي تحوّل معه السياق الاجتماعي كليّاً، وأحدث انقلاباً في المفاهيم والتصورات ما زالت آثاره باقية بعد أكثر من ثلاثة عقود. لقد كانت الصدمة التي استقبلها المجتمع تفوق قدراته ووعيه، وهو في خطواته الأولى في التنمية نحو الحداثة لتشكيل المملكة العربية السعودية الجديدة كدولة عصرية بعد الثورة النفطية، وتحول هذا الحدث أحياناً إلى كابوس غامض في ذهن بعض النخب الاجتماعية والسياسية أثّر في حركة التاريخ المحلي فيما بعد.

خلال أحداث الحرم المكي، قرأنا حجم الصدمة في عيون كبار السن وارتباك الإعلام ومذيع نشرة الأخبار، وتأملنا قلق المجتمع في وجوه الآباء والأمهات والمعلمين وهم لا يستطيعون التفاعل مع أسئلة الأطفال البريئة في تلك الأيام قبل أن تكبر معهم أسئلتهم. أحس الجميع بقلق من نوع آخر عند الكبار والصغار على المقدسات: الكعبة قبلة المسلمين والحرم المكي، ومشاعر الخوف على الاستقرار وأمن الوطن والمستقبل، المجتمع في بدايات تذوّقه نعمة التمدّن وارتفاع مستوى المعيشة.

ترقّب العالم كله بقلقٍ أحداث الأيام الأولى من القرن الهجري الجديد، قبل أن تنكشف الأمور وتعود الحياة إلى طبيعتها سريعاً. كثير من وسائل الإعلام العالمية تخبطت في نقل الأخبار، وظهرت الكثير من التحليلات في المحيط العربي بعيدة عن تصور طبيعة ما حدث، فتضخّمت بعض الأوهام والمغالطات التي كشفت ضحالة الخطاب الثوري العربي السائد حينها ووعيه المحكوم بالأمنيات ضد ما يسمّيه بالدول الرجعية أكثر من التعامل بعقلانية مع حقائق الواقع.

كان الحدث -بعيداً عن القراءات السياسية- يمثّل صدمة نفسية للإنسان المسلم في أي مكان عندما تمس قدسية أطهر بقعة في وجدانه باستعمال مبادئ وشعارات إسلامية! فالحدث لم يدخل التاريخ فقط وإنما استقر بخصوصيته وغرابته في مخيّلة الكثير من أبناء الجيل الذي عاصر الحدث صغيراً أو كبيراً، وظلّت هالة الغموض والأسئلة المعلّقة أكبر من الصدمة ذاتها!

منذ ذلك الوقت توالت خارج حدود المملكة مقالات وكتابات ودراسات تناولت هذا الحدث بناءً على رؤى وأدبيات سادت حول الحركات الإسلامية في العالم العربي.

لم تُجِب هذه الكتابات عن كثير من الأسئلة حول الحدث، وفشلت في تفسير خصوصيته في بعض الأوجه مقارنةً بسياق تطور فكر الحركات الإسلامية المعاصرة ومشروعاتها السياسية. ومن لديه اطلاع على هذه الكتابات سيجد أنّ أهم عوامل إخفاقها في إدراك خصوصية وغرابة الحادثة هو غياب بعض التفاصيل حول جوانب إنسانية وخصائص شخصية لدى بعض الذين قادوا هذه العملية، فقُدمت قراءات لا تخلوا من تناقضات واستنتاجات سياسية واجتماعية غير دقيقة عن السعودية.

كان الصمت أحد أفضل الخيارات المعقولة حينها لامتصاص هذه الصدمة وترميم مشاعر المجتمع بأسرع وقت، وإغلاق ملف الحدث كمحاولة لتقليل الأضرار بأقل قدر ممكن، لكن ذاكرة الكثير من أبناء ذلك الجيل احتفظت بمشاهد الألم وأسئلة ما بعد الصدمة: ماذا حدث وكيف ولماذا؟!

بعد أكثر من عقدين عادت الإشارة إلى هذه الحادثة محلياً بين فترة وأخرى في كتابات ما بعد أيلول (سبتمبر) في الخطاب الإعلامي والصحفي، لكن الخطاب الثقافي السعودي يعاني فراغات مبكرة في الوعي بالظاهرة الإسلامية وتطورها الفكري.

أيام مع جهيمان، يأتي هذا الكتاب للأستاذ ناصر الحزيمي ليُحدث نقلة في الوعي بحقيقة ما حدث ويقدم مشاهدات حية عن سيرة وتطورات هذا الفكر في السبعينات، ليس بوصفه ناقلاً من مصدر ما، وإنما بوصفه معايشاً لهذه التطورات وإلى أين انتهت. لقد تمكّن بأسلوب جذاب ولغة سهلة وغير متكلّفة من كشف الكثير من الملامح الداخلية للجماعة السلفية المحتسبة، وتحولاتها منذ بداياتها في منتصف الستينات. تبدو قيمة هذا الكتاب في أنه كشف جوانب وطبائع شخصية عند جهيمان وجماعته، حيث تمكّن من تقريب سلوكيات وتفكير ومهارات هذه الشخصية للقارئ كما عايشها، لتجيب على تساؤلات كثيرة وتزيل حالة من الغموض استمرت طويلاً حول الحدث وشخصياته.

وقد جاءت سطور الكتاب بأسلوب يخلو من التعسف بالألفاظ والتهويل بالتحليلات، فنقل القارئ إلى سيرة ووقائع الأحداث بتسلسل زمني من خلال المعايشة الشخصية. يأتي هذا الكتاب كخطوة ريادية في تقديم مذكرات شخصية حول أحداث مهمة في مجتمعنا السعودي، وكوثيقة تاريخية تفوق أهمية دراسات وكتب ومقالات، لأنها جعلت القارئ أمام المادة الخام لقصة ما حدث، وبعض التفاصيل التي يصعب على أيّ باحث استنتاجها من دون معايشة.

إن وجود بعض الإشكاليات المتداخلة في طبيعة الحدث تربك الوعي بتفسيره، وتزيد من صعوبة فهمه عند الكثيرين حتى لو وفّرت الجهات الرسمية المعلومات الحقيقية أمام المجتمع. يبدو كتاب **أيام مع جهيمان** كفيلم وثائقي قادر على ملء الفراغات حول بعض الإشكاليات والأسئلة التي ظلت عالقة، فسهولة العرض والسرد المباشر أدى إلى تماسك الحكاية في كثير من تفاصيلها، فمن لديه قراءات مسبقة وخلفية تاريخية جيدة عن الحادثة سيدرك قيمة وصدقية ما يقدمه هذا الكتاب.

عرض الكتاب مشاهد ثمينة حول مظاهر وملامح بدايات الصحوة الإسلامية في الخليج والسعودية. ومن خلال التحاقه بحِلَق العلم الشرعي في الحرم المكي ومدن أخرى، قدم للباحثين إشارات مهمة عن لقاءات بعض الشخصيات من الجماعات الإسلامية والمذاهب الأخرى مع الفكر السلفي المحلي في السعودية، وقد جاءت وفق سياقات معقولة من دون تهويلات ومبالغات. لقد وردت أسماء شخصيات مهمة في الحركات الإسلامية والفكر السلفي المعاصر، ووصفت بعض البدايات في مسيرة الصحوة، التسجيلات الإسلامية وتاريخ بداياتها وبعض الكتب المتداولة، وأنواع النشاط الدعوي والاهتمامات العلمية، وبعض الانقسامات التي حدثت بين تيارات إسلامية وسلفية وأسبابها، بيئة الحرم المكي وطبيعة الدروس المتوافرة حينها، والأنظمة التي تحكمها ونوعية الرقابة، وبروز دور لبعض الشخصيات غير المشهورة الآن في محيط الإسلاميين. وعرض لبعض الفروقات في أسلوب المعيشة بين جماعة وأخرى، أو الجماعة نفسها عندما تغير المكان كالسلفية في الكويت والسعودية، وإشارات لبعض المشكلات الفقهية التي واجهها الفكر السلفي التقليدي حول بعض المستجدات.

تمكّن المؤلف من وصف الظروف الحياتية التي مر بها شخصياً، وسيرة جهيمان وتطوراته الشخصية ومستواه العلمي ووعيه الشرعي، والموقف النفسي حول بعض القضايا والقيم الاجتماعية ودور المكان والبيئة في بناء شخصيته، وهو وصف معتدل يعالج الكثير من التناقضات التي وقع بها بعض الباحثين في تناول رسائله الحقيقية أو المنسوبة إليه ومشروعه ودوره الحقيقي، ورؤية الحاكمية في فكر جهيمان.

من أهم الإشكاليات التي يعالجها الكتاب والتي كان لها دور كبير في ظهور تصورات شرعية خاطئة عند جهيمان وجماعته: قضية الرؤى والأحلام وحضورها لديهم، وكيف أدّت إلى انحراف التطبيق وتصديق فكرة ظهور المهدي وطلب مبايعته. وفي الملحق تضمّن الكتاب حوارات صحفية مميزة تعرض الكثير من التساؤلات التي ستفيد الباحثين في تطورات الفكر في عالمنا العربي.

كتب المذكرات والسير الحقيقية لشخصيات معروفة في أي مجال لها نكهة خاصة وقيمة علمية تاريخية، تفوق أحياناً في أهميتها الكثير من الأبحاث والدراسات الأكاديمية في صناعة الوعي والاستفادة من دروس الماضي. مجتمعنا السعودي لم يترسخ فيه بعد هذا النمط من التأليف والكتابة، لهذا تبدو مبادرة الكاتب ناصر الحزيمي ذات قيمة ريادية في خلق مثل هذه الثقافة محلياً، وهو يقدم لنا كتابه النادر في مجاله "**أيام مع جهيمان**".

بدايات

لعل من المهم قبل أن أبدأ حديثي عن تجربتي في الانضمام إلى "الجماعة السلفية المحتسبة" وعلاقتي بحركي ومنظّر هذه الجماعة جهيمان بن محمد بن سيف الضان العتيبي، أن أقدم إلماحة سريعة أو مقدمة تمهيدية لهذه العلاقة[١].

تعرفت إلى الجماعات الإسلامية عن قرب سنة ١٩٧٤م تقريباً، في الزبير لا كمنتمٍ إليها وإنما كمتديّن على يدها، وأنا أعتقد أنّ تلك الفترة هي البداية الحقيقية للصحوة ولموجة التديّن السياسي التي عمّت جميع أنحاء الشرق الإسلامي مع بدايات انحسار القوى التقدمية (اليسار عموماً) وانحسار المد القومي كجاذبٍ برّاق للجماهير، أما الخطاب العَلماني أو الليبرالي فلم يكن بالخطاب المنافس على المستوى التنظيمي أو الجماهيري؛ فأسعار البترول طفرت إلى أرقام خيالية بعد حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م، وبالتالي طفر معها الخطاب اليميني بشكلٍ عام، وبرز التمويل الداعم لكل ما هو ضد الكتلة الشيوعية أو القومية العربية التي تبنت غالباً الخط الاشتراكي، وساد الصمت الرسمي حيال ممارسات الجماعات الدينية المسيّسة وإن كانت خارجةً عن المألوف، ووجدت في أجواء الحرب الباردة خير معين على إعادة أجواء خطاب الإسلام السياسي. وكانت الموضة المنتشرة في تلك الأيام أشرطة الشيخ عبد الحميد كشك[٢]، فعرفت منها ما أصاب الإخوان المسلمين في مصر من معاناة في الحقبة الناصرية، كما تشكلت عندي اقتناع بأن الإسلام له أعداءٌ كثر يريدون به شراً، وعلى رأسهم من يدّعون الإسلام ولا يعملون به ولا يُحكّمونه في شؤونهم العامة ولا الخاصة. فتعرفتُ إلى كتاب **معالم في الطريق** لسيد قطب، ولم أحبّه لعدم فهمي له وقتها، و**فقه السنة** لسيد سابق قسم العبادات، ثم تعرفتُ إلى **صفة صلاة النبي** لمحمد ناصر الدين الألباني، وقيل لي وقتها أنه سلفي يلتزم بصحة الحديث، ولأنني لم أكن أسأل عن شيء حتى لا أُوصم بالجهل، لم أفهم من قولهم "سلفي" إلا بشكلٍ سطحي.

ذهبت إلى الكويت سنة ١٩٧٦م وهناك تعرفتُ إلى الجماعة السلفية ورموزها، مثل عبد الله السبت وعبد الرحمن عبد الخالق وعبد الرحمن عبد الصمد. وكنت أذهب إلى مخيمهم بشكل دائم وأحضر ديوانياتهم، ففهمتُ السلفية من خلال السماع غالباً، فرفضت التمذهب ونفرت من المذاهب الأربعة ومن أقوال العلماء وفقهم بمباركةٍ غير معلنة من هذه الجماعة، كما فهمت معنى التوحيد عند هذه الجماعة، وتبيّنتُ مواقف هذه الجماعة من الجماعات الأخرى، مثل الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ، وهما أكبر الجماعات الموجودة في الكويت من غير التيار السلفي. كما سمعت بوجود حزب التحرير الإسلامي، إلا أنني لم ألتقِ بأحد منهم. والحقيقة أنني قد سمعتُ مبكراً في الزبير عن جماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير أن الجماعة السلفية في الكويت في ذلك الزمن كانت كتلة واحدة لم تتعرض بعد للانشقاقات، وكانت فَتيّة وكان أبناؤها يتحسسون من السياسة عموماً، وقد لا أكون مُبالغاً إذا قلتُ إن عموم عناصرهم لا يملكون الوعي السياسي، ما عدا الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وبشكل نسبي، ومن خلال العقلية السلفية، هذه المسألة -أعني السياسة- سيكون لها دورٌ في انشقاقٍ ستمر به الجماعة في وقت لاحق سيقسمها إلى قسمين: سرورية وجامية.

وتعرّفتُ في الكويت إلى شخصٍ سيكون له دور في تأسيس الجماعة السلفية في الرياض، أعني محمد الحيدري، واتفقت معه على اللقاء في الرياض. وفعلاً ذهبتُ إلى الرياض بعد ستة شهور من مكوثي في الكويت، وسكنتُ في عزبة[٣] يقيم فيها مجموعة من معارفي وبلدياتي في الزبير، وهو بيت مبني من الطين والحجر صغير جداً عن دوار أم سليم. أما نحن ففينا من يعمل وفينا من يدرس في معهد إعداد المعلمين، وكان عددنا سبعة موزعين على ثلاث غرف، أبعاد كل منها ٢×٣ أمتار، واحدة منها فوق السطح.

وعملتُ في الرياض بمجرد وصولي إليها في محل لبيع خامات التمديدات الكهربائية براتب قدره ٩٠٠ ريال. وكنت أقرأ كثيراً في كتب السنة وقرأت في مصطلح الحديث، واقتنيت بعض الكتب لمحمد ناصر الدين الألباني خصوصاً، وقرأت **كتاب التوحيد** لمحمد بن عبد الوهاب، واحتككت ببعض الشباب الذين عرفت فيما بعد أنهم من الإخوان المسلمين. كان الإخوان المسلمون في الرياض موزعين على فئتين، فئة رئيسةٌ معترف بها من قبل التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، تتميز بالتنظيم والمشروع الرؤيوي والتركيز أكثر على كتابات سيد قطب، ولا يرى أتباعها البيعة لوليّ الأمر، ويُطلق عليها البعض: الإخوان

---

[١] وليعذرني الجميع فأنا أكتب من ذاكرتي بعد ربع قرن من حادث اقتحام الحرم وبعد ثمانية عشر من خروجي من السجن حيث دخلته في ١٥ محرم ١٤٠٠هـ وخرجت منه في ٢٦ رمضان ١٤٠٦هـ الموافق ١٥ نوفمبر ١٩٧٩م وحتى ٢٦ أبريل ١٩٨٦م.

[٢] الشيخ عبد الحميد كشك، واعظ وخطيب مفوّه شبه ضرير دخل السجن سنة ١٩٦٦م وخرج منه سنة ١٩٦٨م وتكثفت خطبه ودروسه الوعظية بعد هذا التاريخ إلى سنة ١٩٨٢م تقريباً، توفي سنة ١٩٩٦م.

[٣] العزبة: هي ما يطلق على البيت الذي يقيم فيه العزّاب.

المسلمون - الجناح القطبي أو "القطبيون"، والفئة الثانية "جماعة دار العلم"[1] وهم مجموعة من الإخوان المسلمين محدودي التنظيم والعدد، يتبنون كتابات حسن البنا غالباً، ويرون البيعة لولي الأمر، وكان يطلق عليهم "البنّاويّون" نسبة إلى حسن البنا. كما كان هناك نشاط ملموس لجماعة التبليغ، ويتمركزون في المناطق الأكثر شعبية وكان لهم مسجد في إسكيرينة؛ ولهذا كان يُطلق عليهم البعض "جماعة إسكيرينة". ومَنْحاهم في الدعوة وعظي تربوي ذو توجه صوفي سلمي. وكان يوجد في الرياض مجموعات متفرقة في المساجد ليس لها أي توجه عموماً، غير التجمع على الالتزام الديني وأداء الفروض، وهي أشبه ما تكون بفرق الحواري أو مراكز الأحياء الثقافية؛ فكل مسجد فيه غرفة ولابد أن تجد فيها غالباً مكتبة وشباباً ملتفين حول إمام المسجد في هذه المكتبة. فكانت هذه الأماكن خير بؤر التجنيد لصالح الإخوان المسلمين، أو جماعة التبليغ. وليس بالضرورة أن تكون هذه المكتبات منتمية إلى إحدى هذه الجماعات؛ فقد تكون مجموعة ليس لها أي سبب بأي جماعة، ولا تمثل إلا قائدها الذي هو غالباً إمام المسجد. وقد تعرّفتُ إلى إحدى هذه المجموعات وذهبتُ معهم في رحلات خلوية، وسافرتُ معهم في رمضان من العام نفسه ١٩٧٦م ولأول مرة في حياتي لأداء العمرة، وبالصدفة المحضة جلستُ في حلقة فيها شيخ يحاجج بالكتاب والسنة، وحوله مجموعة من الطلبة يسألونه ويرد عليهم بكل ثقة ورَوِيّة، وتردد في الحلقة اسم الألباني. وبعد ذلك سألت عن اسمه، فقيل لي إنه الشيخ علي المزروعي وإنه مدرس في دار الحديث بالمدينة المنورة.

لعل هذا اللقاء هو الذي شكّل التحول الفكري والحركي لدي بعد ذلك! وأتممنا العمرة وعدنا في صبيحة العيد إلى الرياض عن طريق البَرّ، وأنا على اقتناع أنه يجب أن أطلب العلم في دار الحديث بالمدينة المنورة على يد الشيخ علي المزروعي. وهكذا قدمت استقالتي في أواسط ذي القعدة من المحل الذي كنت أعمل فيه، ولملمت عفشي وتوجهت إلى المدينة المنورة جواً في صباح باكر..

ووصلت إلى دار الحديث وكلمت الشيخ علي المزروعي، وبذل جهده من أجل دخولي معهد دار الحديث فلم يتيسر ذلك؛ لانتهاء فترة التسجيل، فكتب لي علي المزروعي خطاباً إلى أمير الإخوان[2] في مكة عايض بن دريميح، وأوصاني أن أسأل عنه أو عن عبد الله الحربي، وركبت سيارة أجرة متوجهة إلى مكة في الوقت نفسه.

في عام ١٩٧٧م، افتتح أول محل للتسجيلات الإسلامية على مستوى المملكة، وذلك في الرياض في عمائر الدغيثر المطلة على شارع البطحاء، وكان عبارة عن فتحة صغيرة جداً تبلغ أبعادها ٢×٤ أمتار، وكان محل تسجيلات إسلامية وحيداً بين مجموعة من محلات الأغاني. وكان حدثاً مهماً بين الإسلاميين، حتى أنّ بعض المشايخ زاروا هذ المحل وباركوا لصاحبه هذه الخطوة، وأبدوا استعدادهم لدعمها، وعرضوا خدماتهم على صاحب التسجيلات...

في تلك الفترة لا يُستغرب أن تسمع صخب الأغاني المنبعثة من محلات تسجيلات الأغاني قبل افتتاح محل التسجيلات الإسلامية "تسجيلات اليمامة". أما بعد أن افتتح محل تسجيلات اليمامة فقد كان من الصعب جداً أن يُسمع صوت مغنٍّ واحد؛ لأن صاحب محل التسجيلات الإسلامية يعترض عليه. وكان يكفي أن ينطلق صوت القرآن الكريم من محل التسجيلات الإسلامية حتى يُسكِت جميع أصوات (الأغاني)، ومن يعترض على ذلك من محال تسجيل الأغاني برفع صوت مغنٍّ يُتهم بالتشويش على القرآن الكريم وعدم احترام القرآن الكريم!

وهكذا، فتح محل صغير للتسجيلات الإسلامية غيرت جميع محال التسجيلات الخاصة بالأغاني نشاطها، أو غيّرت أماكنها.

في تلك الفترة لم يكن يوجد في الرياض إلا مكتبة تجارية واحدة متخصصة بالكتاب الإسلامي وخصوصاً كتب الإخوان المسلمين، هي "مكتبة الحرمين" في عمائر الدغيثر نفسها المطلة على شارع البطحاء. نعم، يوجد مكتبات تجارية أخرى، إلا أنّ (مكتبة الحرمين) أكثر انتقائية لكتب الإخوان المسلمين خصوصاً والكتب الحركية على وجه العموم، والكتب السلفية المحايدة في تلك الفترة بعيداً عن كتب السجال والردود؛ إذ أنني لم أجد عندهم من كتب الألباني إلا **مختصر صحيح مسلم للمنذري** والذي علق عليه الألباني، و**صفة صلاة النبي** و**الزواج الإسلامي السعيد**. أما الكتاب الذي أثار ردود العلماء حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة فغير متوافر غالباً، إلا أن بعض الردود عليه موجودة مثل رد الشيخ عبد القادر حبيب السندي والشيخ الأنصاري، وغالباً وقتها كانت توزع مجاناً هذا الكتاب، **حجاب المرأة المسلمة** الذي رجح فيه الشيخ جواز كشف المرأة وجهها وكفّها وأنهما ليسا بعورة، خلافاً لما هو سائد بين علماء المذهب الحنبلي خصوصاً. وعُدّت هذه الفتوى من قِبل الشيخ نقطة سوداء في مسيرته العلمية بين علماء نجد عموماً. يُضاف إلى ذلك دعوة الشيخ إلى

---

[1] سميت هذه الجماعة بهذا الاسم نسبة إلى بيت كان لهم في دخنة وسط الرياض كان يُطلق عليه دار العلم، وكان يحضر جلساتهم مجموعة من المشايخ منهم الشيخ إبراهيم الغيث الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام، والشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله المفتي المعروف.
[2] الإخوان هو ما يُطلق على المنتسبين إلى الجماعة.

عدم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة المتبوعة (المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي) والأخذ من الكتاب (القرآن) والسنة الصحيحة مباشرة. هذه الأمور سيكون لها تبعات أخرى فيما بعد، خصوصاً وأنّ (الجماعة السلفية المحتسبة) غالت جداً في مفهوم الأخذ بالكتاب والسنة، إلى درجة أنها أهملت إجرائيات الفهم لهذين الأصلين مثل اللغة وأصول الفقه، بل شاع بين بعضهم ذمها لأن الصحابة لم يكن عندهم هذه العلوم، وذم كل ما يمت إلى الرأي أو القياس أو الاستحسان بصِلة، ناهيك بالمصالح المرسلة وفقه النوازل، وهذه أشياء سابقة لأوان ذكرها هنا.

في تلك الفترة لم يكن لرجال الحسبة كل هذا التسلط الذي نشهده هذه الأيام. فقد كانوا كباراً في السن تتحكم في انفعالاتهم الحكمة والموعظة الحسنة، ولم ينظر إليهم المجتمع باعتبارهم جسماً غريباً عنه، بل كانوا ضمن نسيجه وكانوا يسمَّون "النوّاب"، وكان دورهم الغالب هو التذكير بوقت الصلاة. كان النائب الأخ الأكبر للجميع ووالداً مسموع الكلمة، ولم يكن على خصام مع مجتمعه بل كان يسدد ويُقارب بالتي هي أحسن، بعكس نواب هذه الأيام الذين أصبحوا ينظرون إلى مجتمعاتهم نظرة الريبة والشك، فأصبحت الريبة من كل شيء هي الأصل وأصبح تتبع عورات الناس الذي نُهينا عنه هو المسلك السائد بينهم، فصنعوا فجوة مشينة بينهم وبين مجتمعهم وكرسوا صورة لرجل الحسبة شبيهة بصورة رجال محاكم التفتيش في أوروبا وأجوائها.

من الأمور التي تميزت بها تلك الفترة حدة الصراع على العناصر المتدينة حديثاً وخصوصاً طلاب المدارس، ففي كل مدرسة تقريباً تياران أو ثلاثة (التيار القطبي وتيار حسن البنا وكلاهما إخوان مسلمون، وتيار جماعة التبليغ). وكان هناك وراء الكواليس جدال دائم حول استقطاب شخص ما إلى جانب أحد هذه التيارات، قد يصل أحياناً إلى المشادات الكلامية، ولم أسمع أنّ هناك عنفاً جسدياً مورس ضد شخص حركي يملك القدرة على استقطاب شباب العناصر الأخرى في الرياض، لكنني سمعت من مصادر متعددة أنّ مثل هذا الفعل قد مورس في الكويت. يقال إن أحد شباب الإخوان المسلمين دعا أحد السلفيين الحركيين إلى منزله، وحينما استقبله ورحّب به، دخل الشاب الإخواني وعاد بعد بُرهة وقد لبِس ملابس "الكاراتيه" وطبق جميع ما تعلمه في جميع الإصلاح الاجتماعي من فنون القتال والاشتباك، علماً أنّ الشاب السلفي كان هزيل الجسم. وكانت فضيحة ما بعدها فضيحة، وتدخل كبار الجماعتيْن لتلافي تبعاتها وفض السامر من دون أن يبحث في مثل هذه الممارسات ومؤشراتها المستقبلية.

في مكة

وصلتُ إلى مكة مع صلاة الظهر، وسألت في معهد الحرم عن عايض بن دريميح أو عبد الله الحربي، ووصلت إلى عبد الله الحربي وتعارفنا، وقال لي: لعلنا نجد عايضاً في بيت الإخوان في حوض البقر، وهو أول بيت للإخوان في مكة، وذهبنا إليه هناك. وكان البيت عبارة عن أرض مسوّرة بالبلوك، فيه غرفتان متواضعتان مسقوفتان بالخشب والبلاكاش، والبناء بمجمله عشوائي؛ فلا أساسات تُذكر للغرف ولا استقامة للسور، أما الأرضية فغير ممهدة وقد تُركت بنتوءاتها الصخرية، ولا يوجد فيه حمّام، ومن أراد قضاء حاجته يذهب إلى حمامات المسجد القريب من البيت، وكذا من أراد الاغتسال. البيت فقير بكل معنى الكلمة، وأظن أنه كان زريبة للحيوانات، وذلك لوجود مخلفاتها فيه.

وانتظرتُ عايضاً حتى جاء بعد بُرهة، وأعطيته الرسالة التي كتبها علي المزروعي، فقال لي إن المعهد سيستأنف الدراسة فيها بعد الحج، وأنا سأكلم لك مدير المعهد الشيخ صالح المقوشي. وفعلاً، تركت أمر المعهد والتسجيل فيه لعايض، واندمجت في حياة الإخوان ولازمت عبد الله الحربي -الرجل الأول من حيث الحركة في فرع مكة- فهو الذي يجمع الإخوان، ويذهب بهم للدعوة في ضواحي مكة، وهو الذي يقودهم لطلب العلم على المشايخ. تعرفت وقتها إلى سلطان اللحياني وأخيه منصور الذي كان وقتها ينتمي إلى جماعة التبليغ، وابن عمهم عبد اللطيف اللحياني وسويلم السلمي ومرزوق الهذلي وحسين الغامدي وسالم الغامدي، ونور الدين ابن شيخنا بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي. هذه أغلب أسماء الإخوان في مكة في الوقت الذي وصلت إليهم فيه، ولا يتعدى سن أكبرهم الخامسة والعشرين ما عدا عايض بن دريميح؛ فسنّه وقتها كان فوق الأربعين، وذكر لي أنه بدأ بتعليم نفسه كبيراً، وكان بدوياً يرعى الإبل إلى سن الثلاثين ثم انتقل إلى مكة بعد أن علّم نفسه القراءة والكتابة في البادية، فدخل معهد الحرم لعدم اشتراطهم الشهادة الابتدائية، وإنما يُجرى لك مقابلة شخصية يُحدد من خلالها المستوى العلمي والتحصيلي غير النظامي، فمعهد الحرم شكلٌ مطوّر من دراسة الأروقة، وبالفعل؛ فدروسه تتم في أروقة الحرم على الأرض.

وقتها كُنّا في موسم الحج، وكنت منبهراً جداً بهذا المكان الجديد عليّ، حجّاج من جميع الأجناس ومن جميع بقاع الأرض، وحركة لا تفتر في الأربع وعشرين ساعة، ومعتمرون، فقضيت جل وقتي في الحرم واستطاع عايض بن دريميح أن يحصل للإخوان على إحدى الخلوات[1] في الحرم، فكانت خير معين لي في المبيت هناك، ما عدا ليالي كنا نُمنع من المبيت فيها؛ بسبب توقع قدوم سيل ينحدر من شعاب مكة، ويأتي هادراً إلى مركز انحدار الأرض في الحرم؛ لذلك أُقيم له تصريف تحت الحرم، وكان أحياناً يدخل القبو، فكانوا في الحرم ينبهون الناس لقدوم السيل من أجل أخذ الحيطة والحذر، وخصوصاً القاطنين في الخلوات. ثم أخبرني عبد الله الحربي أنّ الإخوان في المدينة المنورة سوف يحجّون وأننا يجب أن نستعد لنصب الخيام في مِنى. وفعلاً، بعدها بأيام وصلت خيامهم من المدينة في السادس من ذي الحجة تقريباً، وساعدنا في نصبها في المكان المحدد لها في منى، بحيث أصبحت جاهزة لاستقبالهم، وكان مخيماً كبيراً. وبدأنا باستقبالهم في مكة، فتعرفت وقتها إلى علي بن مشرف العمري، وهو أول من تعرفت إليه من أهل المدينة، كما أني كنت متلهفاً للقاء أُناس سبقتهم سمعتهم بشكل عجيب مثل جهيمان، وتعرفت إليهم جميعاً في المخيم بمِنى مثل ناصر بن حسين وسليمان بن شتيوي وسعد التميمي وجهيمان، وأحمد حسن المعلم وفيصل محمد فيصل، ومقبل الوادعي وردن العتيبي ومطلق بن سهل من ساجر، وسلطان وفهد وعمر وعبد الله وعباس أبناء جار الله من حائل، ومجموعة من السودانيين من جماعة أنصار السنة قدمت من الطائف، ومجموعات قدمت من جميع مناطق المملكة. وأُفرد مكان للشيخ الألباني الذي التقيت به لأول مرة. كنت وقتها في حالة دهشة حتى الثمالة؛ لالتقائي بالشيخ الألباني بحاشيته الكبيرة من سلفيي الشام، وحديثه معنا! وحقيقة، كنت في حالة ذهول شديدة! هل أنا فعلاً أجلس بشكل مباشر مع الشيخ الذي تتلمذت لبعض كتبه، وتبنيت أفكاره واجتهاداته من خلال السماع لدرجة التقليد الأعمى.

كان الدور المناط بإخوان مكة القيام بكل مستلزمات المخيم؛ لأن جميع من في المخيم دخلوا تحت إمرة عايض بن دريميح النفيعي أمير الإخوان في مكة، فتوزع الإخوان المهام، منهم من عمل في المطبخ ومنهم من تولى جلب المياه ومنهم من تولى جلب الإعاشة، وكان دوري مع عبد الله الحربي جلب الإعاشة، فكُنّا نجلب الخبز بكميات كبيرة من مخبز في البلد قبل صلاة الفجر للفطور.

---

[1] كان في بدروم الحرم عدد كبير من الخلوات، وكان الإخوان في مكة أدرى الناس بها وبدهاليزها، فكانوا خير معين لجهيمان في حادثة اقتحام الحرم.

وهكذا مرّت أيام الحج بين أداء المناسك وحضور دروس الإخوان ودروس الألباني، وتعرّفي إلى من لم أعرفه من الإخوان وتوطيد علاقتي بجهيمان الذي بدا وقتها مشغولاً جداً، وبدأت أتلمس آنذاك المسائل التي يخالف فيها الإخوان أصحاب المذاهب الفقهية من المقلدين، وانتهى الحج وعاد الإخوان إلى مناطقهم وعدنا إلى الحرم.

هذا اللقاء الذي تم في الحج، يكاد يكون هو العلامة عندي في تلك الفترة على أنني قد أصبحت أنتمي إلى جماعة سلفية حقيقية؛ فمسلكهم وسيماهم ودماثة أخلاقهم، وما يشغلون به وقتهم كل ذلك محسوب. كما أنهم يتميزون عن الجماعة السلفية في الكويت بأنهم أكثر جدية وخشونة وعزوفاً عن الشكليات الدنيوية؛ فمثلاً لم يحدث في خلال علاقتي بالجماعة السلفية المحتسبة أن خرجنا في مجموعة من أجل أن نأكل كنافة مثلاً، مثلما كان يحدث في الكويت حيث كنا نخرج لأكل الكنافة عند الكرد أو الصمدي، أو نخرج لنتناول (الآيس كريم) أو غير ذلك... بل كانت الخطوات محسوبة ومقنّنة ليس من خلال نظام داخلي بل كانت طريقة حياة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى طبيعتهم البدوية الصِّرفة. لهذا تجدهم متواضعين في طريقة حياتهم؛ فبيوتهم في الحرّة الشرقية مختصرة جداً بحيث إنني لم أدخل مجلساً من مجالسهم يحتوي على غير (الموكيت) والمتاكي ومكتبة عامرة بكتب الحديث خصوصاً وكتب التفسير. وكانت مكتبة جهيمان تحتوي على أغلب كتب الألباني والكتب الستة بشروحها، و**تفسير ابن سعدي** و**تفسير ابن كثير** والبغوي، وكتاب **إتحاف الجماعة** للشيخ حمود التويجري، و**نيل الأوطار** و**سُبُل السلام**، أما كتب المذاهب الفقهية فتكاد تكون معدومة، ومجموعة التوحيد وكتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية و**شرح العقيدة الطحاوية**. هذا مجمل مكتبة جهيمان، وقس عليها أغلب مكتبات الإخوان، ما عدا مكتبة مقبل بن هادي الوادعي ومكتبة علي المزروعي؛ فمكتبة مقبل تتميز بأنها مكتبة حديثية صِرفة وما يتبعها من كتب فقه الحديث، أما المزروعي فمكتبته فقهية حديثية.

في تلك الفترة وبعد مرور سنة على وجودي في مكة، انتقل الإخوان من (حوض البقر) إلى بيت آخر يقع في مكان يسمى الصفيراء في ضواحي مكة وضمن حدود الحرم، وهو بيت من البلوك غير المليص الجدران، وفيه ثلاث غرف وحمامات وحوش واسع ثلثه مسقوف بالبلاكاش، وكان بعيداً من عين كل رقيب أو حسيب إذ لم يكن حوله أي بيت آخر، بل كان منفرداً في تلك البقعة لوحده ما عدا بيتاً واحداً خلفه. وكان بابه يفتح على سهل واسع من الأرض. وكان هذا البيت هو محطة استراحة الإخوان المعتمرين من خارج مكة.

كنت أستلم من معهد الحرم مكافأة قدرها ١٥٠ ريالاً فقط، وبما أني متأثر بسِيَر السلف الصالح ممن طلب العلم ولاقى المحن في سبيل ذلك، فقد كنت مقتنعاً بهذا المبلغ الذي كنت أصرفه على القليل من الطعام وعلى الكثير من الكتب. وكان أصحاب المكتبات يقسّطون لنا ما نشتريه منهم من كتب إلى ميسرة، وكان ذلك أمراً شائعاً ومعروفاً بين الطلبة. وكان يصل إلينا بعض الصدقات المشترطة في صرفها على طلاب العلم في مكة، وذلك بين فينة وأخرى. وكان مجموع ما وصلني خلال سنة في مكة ٢٠٠٠ ريال تقريباً، وكان يوزعها علينا مشايخنا في المعهد أو الشيخ صالح المقوشي مدير المعهد. فكنت أسدد بما أحصل عليه من صدقات ديوني المتراكمة لأصحاب المكتبات، وأعتاش بما بقي معي منها. كان بعض زملائنا وخصوصاً المغتربون منهم، يعملون كعُمّال نظافة الحرم وكان بعضهم يعمل بائعاً متجولاً. وقررت أن أعمل بائعاً متجولاً للساعات في الموسم، واصطحبني أحد الإخوان وهو حضرمي إلى تاجر جملة لكي يزودني بالبضاعة، وكانت عبارة عن ساعات وست إند West End Watch. وحينما أخذت هذه البضاعة ودرت فيها على المعتمرين والحجاج، التقيت بأحد الإخوان ففحص الساعات ثم قال لي: هذه البضاعة يحرّم عليك ترويجها! وحين سألته عن السبب، قال لي: إن هذه الساعات تحتوي على رسمة الصليب وقد أُمرنا بكسر الصليب وطمسه. حقيقةً، أنا كنت أحمل هذه الأفكار ولم أنتبه إلى وجود الصليب على الساعات، وذهبت إلى الشخص الذي زكاني عند تاجر الساعات وشرحت له الأمر، فأخذ الساعات مني وأعادها إلى التاجر كما أخذتها منه. وفي المساء دار حوار حول هذه الساعات وأنه لا يجوز لي أن أُرجِعها إليه، وإنما يجب عليّ أن أُنكر المنكر بيدي بحيث أعيدها وقد طُمس الصليب. وقد اكتشفت فيما بعد أنّ الإخوان عموماً يطمسون الصليب بوضع صبغ الأظافر عليه، وبعضهم ممن اقتنع بتحريم لبس الحديد المحلّق يغيّر إبزيم الساعة المعدني بسير من الجلد أو البلاستيك، ومن لم يغير السير لا يلبس الساعة، وإنما يضعها في جيبه أو يعلقها بسلسالٍ ويضعها في جيبه الصغرى. شاهدت مجموعة من الإخوان يفعلون ذلك ويهتمون به، وكان لبس الحديد المعلق ولبس الساعات أحد المواضيع المتكررة في مجالس الإخوان.

كنا بحقٍ في حالة ضنك وضيق مالي يضطر طالب العلم بسببه إلى التخلي عن أعز ما يملك وهي الكتب. وقد حدث لي حادث هنا، وهو أني كنت أهوى تملك الطبعات الأصلية من الكتب، وقد حصلت على كتاب **فتح الباري شرح صحيح البخاري** طبعة بولاق، وعلم أحد الزملاء وكنت قد استدنتُ منه مبلغاً من المال وساومني على أن يأخذ مني الكتاب مقابل دينه (وكان دينه ٤٥٠ ريالاً) فرفضت؛ لأن الكتاب أغلى من ذلك، وبعد أسبوع عاد إليّ مطالباً بنقوده مشتكياً ضيق ذات يده، فعرضت عليه أن يأخذ **فتح الباري** ويعرضه على أحد هواة جمع الطبعات المعروفين عندنا في مكة، لعله يشتريه. وفعلاً أخذ الكتاب وعاد إليّ بعد يومين، وقال لي: إن الكتاب قد بيع بـ ٥٠٠ ريال، وأعطاني ٥٠ ريالاً وأخذ نقوده التي أدين له بها. وبعد مدة زرته في مقر إقامته وفي أثناء تأملي مكتبته

وجدت كتاب **فتح الباري** طبعة بولاق، نسختي العزيزة عليّ يتوسط مكتبته، فما كان مني إلا أن خرجت من بيته مسرعاً؛ لشعوري بأنني قد تعرضت للخديعة والضرر.

مثل هذه الممارسات وغيرها كثيراً ما تحدث بين الطلبة، وقد تهون مصيبتي أمام مصائب بعض الطلبة؛ إذ أن بعضهم يبيع مكتبته بمجملها بسبب ضيق ذات اليد!

وقد تعرّفتُ إلى رجل حضرمي أصيب بلوثة بسبب حرق مكتبته في اليمن الجنوبي على يد -كما يقول- الشيوعيين. هذا الرجل كان يملك مكتبة كبيرة جداً تحوي كل ما وصلت إليه يده من طبعات أصلية من جميع أنحاء العالم. والغريب أنه يحفظ أسماء الكتب ومؤلفيها وتواريخ طبعها، وأين طبعت والطبعة الجيدة منها ومن اختصرها ومن شرحها ومن ألّف في بابها. كان يجلس يتكلم مع نفسه غالباً، وكان يمر أحياناً على بعض حلقات العلم، ثم يقول لي: إن هذا الشيخ يُدرّس الطلبة كتاباً ناقصاً في هذه الطبعة التي اعتمدها! ثم يمر من المكان نفسه في اليوم التالي ويردد ما قاله بالأمس. وحقيقة، لقد استفدت منه فوائد ما كنت لأحصل عليها إلا من بعد كدّ وتعب.

وعاد الشيخ بديع بن إحسان الله شاه الراشدي من الباكستان، وجلب معه كرسياً للتدريس في الحرم. وقصة هذا الكرسي أنّ أحد أتباع الشيخ المقربين في السند طلب من الشيخ بديع أن يصطحب معه من الباكستان هذا الكرسي الذي صنعه للشيخ، لكي يدرّس عليه في الحرم خصيصاً.

واستأنف معهد الحرم عامه الدراسي بعد الحج، وبدأت الدراسة في حلقة للمبتدئين من قرآن وحديث وفقه ونحو وتوحيد وفرائض وتفسير وحساب. كنا نبدأ يومنا بعد صلاة الفجر، حيث يأخذنا عبد الله الحربي بـ"وانيته" من بيت الإخوان، وفي طريقنا نمر على الشيخ بديع قبل أن يُهدي له الشيخ أبو تراب الظاهري سيارته الكورولا Corolla ونأخذه من بيته ونصلّي في الحرم، ثم نتحلق حول الشيخ بديع أنا وعبد الله الحربي وسلطان اللحياني ومرزوق السلمي. وكنا نقرأ على الشيخ كتاب **عون المعبود في شرح سنن أبي داود** وكتاب **نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر** لابن حجر العسقلاني، وقد أتممناه عليه في شهرين، ثم قرأنا عليه **المختصر** لابن كثير. وحقيقة لم أستفد من الشيخ بديع في المصطلح قدر استفادتي من مناقشات الطلبة ومراجعاتهم. ثم بعد ذلك نذهب -غالباً- جميعاً إلى أحد المطاعم القريبة من الحرم، ما عدا الشيخ بديع فيذهب إلى شيخ أعمى اسمه الشيخ فتحي، وهو من جماعة أهل الحديث في الهند وواعظٌ في الحرم وله خلوة فيه. يذهب الشيخ إليه ويزوره ويفطر معه، إلى أن يأتي وقت عمله في التدريس في معهد الحرم وكذلك نحن. فكنا نستأنف الدراسة من الساعة الثامنة حتى صلاة الظهر، ثم ندرس حصة واحدة بعد صلاة الظهر ومقدار الحصة خمسون دقيقة تقريباً، أذهب بعدها إلى بيت الإخوان وأحياناً كنت أبقى في الحرم، خصوصاً في الشهور الأولى من سكناي في مكة. وكنت أحرص على أن أكون في الحرم قبل صلاة العصر بساعة، كنت أقضيها غالباً مع الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، وكان يحتفي بي كثيراً خصوصاً حين علم أنني من الزبير، ولذلك حكاية أخرى. وبعد صلاة المغرب كنت أحضر حلقة الشيخ بديع في كتاب **المحلّى** لابن حزم، ثم مُنع الشيخ من تدريس كتاب **المحلّى** واستعيض عنه بكتاب **تفسير ابن كثير**. وسبب منع الشيخ من تدريس كتاب **المحلّى** أنه كان يهاجم المذاهب الأربعة، وخصوصاً المذهب الحنفي. وكان بجانب حلقة الشيخ بديع حلقة لطلاب علم من بخارى يدرسون المذهب الحنفي، وكان الشيخ يُسمعهم ما يكرهون وما هو خارج عن الذوق والأدب حتى أنه كان يسميهم مخنّثي الفقهاء. وكثيراً ما ردد قوله ملتفتاً إليهم: انظر إلى هؤلاء المخانيث يتركون حديث رسول الله لآراء الرجال!! وهكذا.. حتى شكوه إلى الشيخ محمد بن سبيّل مدير الحرم للشؤون الدينية، وقدموا فيه عريضة جاء فيها أن الشيخ بديع يتطاول على العلماء وأنه يدّرس المذهب الظاهري وهذا أمرٌ لم يعهد مثله في الحرمين، فاستدعى الشيخ وطلب منه أن يخفف من لهجته ضد علماء المذاهب الأربعة، وأن يمتنع عن تدريس الفقه الظاهري المتمثل بكتاب **المحلّى** لابن حزم، واقترح عليه الشيخ ابن سبيّل كتاب تفسير ابن كثير بديلاً عنه، وقد تم ذلك بعد أن قطعنا شوطاً لا بأس به من **المحلّى**. فأصبحنا نقرأ في **تفسير ابن كثير**.

إن مرحلة قراءتي على الشيخ بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي السندي من أهم مراحل تكويني المرحلي في تلك الفترة، على الرغم من أني واجهت مشكلة مع عربية الشيخ غير المبيّنة؛ فقد كان يتحدث العربية الفصحى بلكنة أعجمية غالبة، وكنت في البداية أواجه صعوبة في فهم ما يقول وخصوصاً وأنه كان سريعاً في كلامه. فشكوت إلى عبد الله الحربي ذلك فقال لي إنه كان يواجه المشكلة نفسها، ومع الأيام أصبحت أفهم كلامه، أما السرعة فصحيح أنه يتكلم بسرعة، فكلّمه عنها فخفف من سرعته قليلاً. وفعلاً بعد فترة أصبحت أستبين كلامه بفعل التعود على لكنته، وعلى الرغم من أن الشيخ بديع قد سافر مبكراً إلى أوروبا وبعض دول آسيا، وعلى الرغم من إجادته عدة لغات مثل الهندية والفارسية والإنجليزية والعربية إضافةً إلى لغته الأم الأوردية، إلا أنه بقي أسير الفهم التراثي للأفكار. نعم كان ظاهري المذهب لكنه ينكر أن **طوق الحمامة** لابن حزم، وينكر أن ابن حزم قد حلل الغناء. كان يخاصم

بشكل متعصب كل من يشكك في عقيدة ابن حزم، وهذه الحالة لازمته إلى وفاته. وقد نقل لي بعض الزملاء أنّ الشيخ بديع كان يرفض فكرة أن ولده نور الدين قد توفي في حادث الحرم، وأنه حي يرزق. والغريب أنه يستدل بالآية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ...﴾[1].

ولو سُئلتُ ممن استفدت في طلبك العلم في مكة؟ لقلت إنني لم أستفد استفادة حقيقية إلا من شخصين، وهما الشيخ بديع والشيخ عبد العزيز بن راشد. أما الشيخ بديع فقد استفدت منه في دروس ما بعد الفجر، وأما الشيخ ابن راشد فقد استفدت من مذاكرتي معه مصطلح الحديث، وقد حاولت أن أدرس بعض المتون مثل **متن السلم في المنطق** وبدأت به فعلاً على شيخ هندي. وعلم بعض الإخوان بذلك وتحديداً عبد الله الحربي، وكلمني ناصحاً بانفعال لكي يصرفني عن هذا العلم الذي شدد علماء السلف النكير على من يتعاطاه وأنه مبتدع، وأنّ عالمه لا يعد في مصافّ العلماء وأنّ علماءه يجب أن يُضربوا بالنعال، وأنه ليس من علوم السلف.

كنتُ، كما قلت، أحرص على فترة بعد العصر التي أقضيها في الحرم، ألتقي في خلالها بالشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي الذي توطدت علاقتي به بعد أن علم أنني من الزبير، وقال لي أنه انطلق من مكة مع عبد الله القصيمي وذهبوا إلى الزبير للدراسة على بعض مشايخها وأنهما سكنا في مسجد الإبراهيم، وبعد شهور تركوا الزبير وتوجهوا إلى الهند بعد أن زودهم علماء الزبير بخطابات توصية لعلماء الهند، وبعد ذلك تركوا الهند وتوجهوا إلى بغداد، وكان معهم في بغداد عبد الله بن يابس. ثم تركوا بغداد وتوجهوا إلى مصر للدراسة في الأزهر، وأخذ يحكي لي عن حياتهما في مصر وعن أسباب التحولات التي طرأت على فكر عبد الله القصيمي. كنت أستمتع بحديثه الهادئ وذاكرته القوية، وبعد ذلك أصبحت أقرأ عليه في المصطلح، فما كنت أقرأه في درس الفجر أعيده عليه بعد العصر رحمه الله. فقد كان رئيفاً رفيقاً بصغار الطلبة تنشرح أساريره لهم. كنت أمر عليه بعد كل عصر، وحتى بعد أن استقر بي المقام في المدينة كنت أحرص على أن أمر عليه إذا نزلت إلى مكة. وفي إحدى هذه النزلات وجدت عنده شيخ بشوش، فقدمني له الشيخ عبد العزيز بقوله: هذا فلان من الإخوان. ثم قال الشيخ عبد العزيز: وهذا الشيخ محمد أمين المصري. فقلت: الشيخ محمد أمين المصري شيخ شيخنا مقبل بن هادي الوادعي؟ فقال: نعم. فقلت للشيخ محمد: لقد سمعت عنك كثيراً وتمنيت لو كنت درست عليك. ثم قال لي الشيخ محمد: "إن الملأ يأتمرون بكم"! وكنت وقتها على اطلاع على ما كان يكتبه بعض المشايخ وطلبة العلم ضد الإخوان، فقلت له: سيكفينا الله شرهم. هذا الكلام قبل الاعتقال الأول بشهور[2]. لقد شهدت الشيخ عبد العزيز يسعى حثيثاً خلف الشيخ عبد الله بن حميد، حتى وقف فسأله عن سبب منعه من التدريس والسماح لعلوي المالكي؟! وكان الشيخ قد مُنع من التدريس في الحرم بسبب أنه ظاهري المذهب وبسبب مهاجمته للمذهبية والمذاهب الأربعة، وكان يشعر بالمرارة لأنه يحارَب في مصر؛ لأرائه في التوحيد وهي سلفية. وكان بعض علماء الأزهر يطلقون عليه اسم الوهابي الخامسي (كانوا يطلقون على الوهابية "الخامسية" وواحدهم "خامسي"؛ لأنهم يرون أنهم استحدثوا مذهباً خامساً غير المذاهب الأربعة، الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي). فلما انتقل إلى بلده المملكة العربية السعودية، حورب من قبل علماء المذهب الحنبلي؛ لأنه ظاهري المذهب من أتباع ابن حزم، ومنعه الشيخ عبد الله بن حميد رئيس إدارة الحرمين ورئيس مجلس القضاء الأعلى من التدريس.

كنّا في يوم الجمعة وهو يوم إجازة المعهد، نذهب للدعوة في القرى الموجودة في ضواحي مكة. وكان الخطاب الدعوي وقتها يركز على البدع المنتشرة بين أهل هذه القرى. وكان غالباً يتولى هذه المهمة عبد الله الحربي. كنا نصلي معهم الجمعة أو يصلي بهم عبد الله الحربي الجمعة، ولا توجد قرية قصدناها إلا ونجد أن جماعة التبليغ سبقونا إليها من قبل، فهذه الجماعة لها نشاط ملموس بين عوام هذه القرى، لهذا فقد كنا غالباً ما نلتقي بأحد من أبناء هذه القرى خرج معهم إلى الدعوة، سواء لأسبوع داخل المملكة أو لأربعين يوماً خارجها، وهم محبوبون عند أهل هذه القرى؛ لعدم صِداميّتهم معهم ولدماثة أخلاقهم وتواضعهم... ومن الملاحظ أن كثيراً من الإخوان كانوا في جماعة التبليغ أصلاً قبل أن ينضموا إلى الجماعة السلفية المحتسبة، أو إلى الجماعة السلفية الموجودة في الكويت. وهناك مقولة متداولة وهي أنه لو قامت الدولة الإسلامية لكان أفراد جماعة التبليغ من عوام دولة الإسلام وأن السلفيين من علمائها وأن الإخوان المسلمون من ساستها. لا أذكر من صاحب هذه المقولة، لكني في فترة البدايات كنت معجباً بها وكنت أرددها، خصوصاً وأنني كنت حينها من المتعاطفين مع التقريب بين الجماعات الإسلامية.

في أحد الأيام زارنا في مكة جهيمان، وبعد أن أدى مناسك العمرة جلس معنا في بيت الإخوان في الصفيراء، وكانت الجلسة ذات طابع علمي بحت، ثم طلب مني أن أصحبه في سفرة للدعوة فوافقت وكانت هذه السفرة أول سفرة طويلة لي خارج مكة. وأذكر أننا ذهبنا وقتها إلى بعض قرى الحجاز مثل رهاط ومدركة ثم ذهبنا إلى الطائف. كان جهيمان يناقش في دروسه الوعظية غالباً محاذير يقع فيها عوام البادية مثل زواج الشغار، وعدة المطلقة والمتوفى عنها

---

[1] سورة النساء: الآية ١٥٧.

[2] توفي الشيخ محمد أمين المصري رحمه الله في رمضان ١٣٩٧هـ الموافق لعام ١٩٧٧م.

زوجها، وحكم السحر وإتيان السحرة، وأحكام الدماء: الحيض والاستحاضة والنفاس. أما في بيوت الإخوان ومن يستضيفنا من المحبين والأنصار في الحواضر فيناقش مسائل التقليد المذهبي ونبذ التمذهب وأتباع الدليل ولابد أن يكون لتأويل الرؤيا نصيب وافر من الجلسة.

ومنذ هذه السفرة لم أفارق جهيمان غالباً في أي سفرة سافرها للدعوة قبل الاعتقال الأول. لقد عرفته عن قرب من خلال هذه السفرات وتعلقت به، أعجبني فيه كرمه وتواضعه ودماثة خلقه وتفانيه في العمل الدعوي، وكرهت فيه تعصبه لقبيلته عتيبة وذكره لمثالب القبائل الأخرى. وأوقعني هذا الأمر في حيرة شديدة، فجهيمان بالرغم من أنه شديد في خطابه الدعوي إلا أنه ضعيف أمام رواسب القبلية عنده، فهو يمحص ويحقق أحاديث الرسول ويضعف أمام أخبار قبيلته ويرويها كأمجاد مسلم بها وإن كان فيها ظلم للآخرين، من الأشياء التي كثيراً ما سمعتها من جهيمان وسيكون لها دور في تشكيل أفعاله قوله: "إن البدو يتميزون بقدرات خاصة لا يتمتع بها الحاضرة مثل الفراسة والجَلَد وتحمل المشاق"، هذا الكلام لم أسمعه بشكل عارض أو مرة واحدة وإنما كان يردده كثيراً. كنت في تلك الفترة مفتوناً بمثل هذه الأفكار، ولكن بعد أن دخلت إلى السجن وخلوت لنفسي، وجدت أنها أفكار سطحية وغثّة ولا تصنع أمة حديثة بأي حال من الأحوال. كنت أتأمل في حال وصلت هذه الفئة إلى رأس السلطة ماذا سيكون شكلها؟ كنت أتخيلها وهي تأكل أبناءها من الحضر ومن القبائل الأخرى، وتمكن الشكل القبلي الأحادي أعني قبيلة جهيمان، وستدور رحا التطهير وحمامات الدم وسأذكر مثالاً على ذلك؛ يخبرني جهيمان أنه ذهب إلى أحد المسؤولين عن الدعوة في "دار الإفتاء والدعوة والإرشاد" فلم يقابله بتواضع، وكان دائماً يردد قصة هذا اللقاء. ثم أخبرني أسامة عواد إبراهيم وهو مصري مُسك في قضية الحرم أنه كان مع هذا الشخص الذي يذكره جهيمان دائماً، وإن جهيمان في أوائل سيطرته على الحرم وجد هذا الشخص أمامه فأمر سجنه بسجن الحرم هو ومجموعة معه، علماً أنّ هذا الرجل ليس من ذوي الجُرم ولكن الموقف السابق مع جهيمان هو جرمه. هذا مثال بسيط وممارسة من رجل على رأس الحركة، فما بالك بممارسات الرعاع والدهماء بعد ذلك؟

كثيراً ما سئلت عن طبيعة هذه الحركة، وكثيراً ما قيل عنها وكل يصنفها حسب التوجه الذي يتبناه؛ فاليساريون صنفوها كحركة ثورية وبعض العروبيين صنفوها كحركة انقلابية والبعض صنفها كحركة احتجاج، وجميع هذه التصنيفات خاطئة على إطلاقها والسبب بعد هذه التيارات عن حقيقة خطاب "الجماعة السلفية المحتسبة" وهو الاسم الرسمي لهذه الجماعة، فهذه الجماعة ثورية وانقلابية واحتجاجية ولكن بطريقتها وبشروطها. وحتى لا نقفز على نسق هذه الجماعة يجب أن نشير إلى البيئة التي كونت فكر جهيمان.. من المعروف أنّ جهيمان نشأ في إحدى الهجر التي أنشئت لاستقرار البدو وتعليمهم، والذين عرفوا فيما بعد باسم الإخوان "إخوان من طاع الله"، واسم هذه الهجرة "ساجر"[1]، وكان جميع البدو القاطنين في هذه الهجرة من الإخوان الذين حاربوا مع الملك عبد العزيز بقيادة سلطان بن بجاد "كان الإخوان يطلقون عليه سلطان الدين"، ثم تمردوا على الملك عبد العزيز بسبب منهج التحديث الذي انتهجه الملك عبد العزيز وحاربوه في وقعة "السبلة" وهزموا أمامه، واستسلم سلطان بن بجاد للملك عبد العزيز وتوفي بعد ذلك في السجن بعد مدة، هذه الواقعة ولدت شعوراً بالغبن عند الإخوان عموماً وعند أهل ساجر خصوصاً ونشأ جيل ورث بعضهم الضغينة للنظام القائم والتمرد عليه؛ فجهيمان مثلاً، كان يعمل في التهريب من الكويت قبل أن يتدين كما أخبرني مشافهة وغيره[2]، مثل هذا المحيط المتمرد هو الذي كوّن نفسية جهيمان بن محمد بن سيف الضان وجعله لا يدين بالولاء للنظام القائم في فتراته المبكرة، خصوصاً وأن والد جهيمان[3] صديق حميم لسلطان بن بجاد ومن الذين نصحوه بعدم الاستسلام للملك عبد العزيز، وهذا يذكرنا بعدم استسلام جهيمان حينما طُلب في الاعتقال الأول بعد سنة ١٣٩٨هـ لأنه يرى أنّ الدولة غادرة لأنها غدرت بسلطان بن بجاد أولاً ومن ثمّ فهي من الممكن أن تغدر به بعد ذلك. خصوصاً وأن جهيمان يرى أن قبيلته قد تقاعست عن أخذ الثأر من السلطة التي قتلت سلطان بن بجاد فكان في نفسه من ذلك الشيء الكثير، وكثيراً ما يصرّح به[4].

---

[1] يقال إن ساجر تأسست عام ١٣٣٣هـ بتوجيه من الملك عبد العزيز رحمه الله.

[2] أخبرني صنيتان العتيبي -وكان معي في المعتقل- أنه كان يهرب الدخان من الكويت مع جهيمان، ولم يكن الدخان ممنوعاً و إنما كانت الضرائب عليه باهظة والرقابة عليه شديدة في المنطقة الوسطى عكس المنطقة الغربية والمنطقة الشرقية، وكانوا غالباً يهربون الدخان لصالح تجار معيّنين يوفرون لهم أحياناً سيارات الفورد الحمراء، وقد نجد في شعر كثير من الشعراء الشعبيين إشارات إلى ذلك.

[3] توفي محمد بن سيف الضان العتيبي والد جهيمان في أوائل السبعينات في حادث دهس سيارة على طريق المدينة، وكان بصحبته في هذه السفرة جهيمان. وأما جده سيف فقد قتل مبكراً قبل السبلة بمدة في إحدى الحوادث التي كانت تنشأ بسبب الخلافات القبلية، وليس بصحيح ما جاء في مقدمة رسائل جهيمان (صفحة ١٥) والتي كتبها الدكتور رفعت سيد أحمد من أن جد جهيمان قتل في السبلة.

[4] مثل قوله في رسالة الإمارة والبيعة والطاعة وحكم تلبيس الحكام على طلبة العلم والعامة: و أقرب مثال وأوضحه؛ مؤسس دولتهم الملك عبد العزيز والمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه، وهم ما بين موافق له ومعززله بما يشاء وآخر ساكت عن باطله وآخر التبس عليه الأمر، فقد دعا "الإخوان" رحمهم الله الذين هاجروا في القرى المختلفة هجرة لله عز وجل، دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد ويرسلون له بما للإمام من الغنائم والخُمس والفيء ونحو ذلك على أنه إمام المسلمين، ثم لما استقر

تأسست "الجماعة السلفية المحتسبة" بعد حادثة تكسير الصور أي بعد سنة ١٩٦٥م تقريباً حيث تجمّع ستة على رملة بعد صلاة العشاء وقرروا أن يؤسسوا جماعة تقوم بأمور الدعوة والتذكير في المساجد والأماكن العامة وجميعهم خرجوا من عباءة جماعة التبليغ ما عدا واحداً منهم يبدو أنه من الإخوان المسلمين، ولأنهم يرون أن جماعة التبليغ لا تهتم بالتوحيد في دعوتها كما أنهم كثيراً ما يتساهلون في قضايا الولاء والبراء وقضايا إنكار المنكر رأوا أنها جماعة لا تدعو على هدي من الكتاب والسنة، وهؤلاء الستة هم جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي قائد وايت في الحرس الوطني وشبه متسبب، وسليمان بن شتيوي وكان حينها طالباً في الجامعة الإسلامية، وناصر بن حسين العمري الحربي وسعد التميمي وكلاهما طالب في معهد المعلمين حينها، وهناك اثنان لم أدركهما ولم أعرفهما لأن أحدهما وهو يمني توفي بظروف غريبة إذ أنه ذهب إلى الدعوة على قدميه لمنطقة بعيدة "يُقال أنها منطقة النخيل" ووجد ميتاً في أحد الآبار، أما الآخر فقد انفصل عن الجماعة مبكراً لأنه من الإخوان المسلمين، ويبدو أن هذا الشخص كان يطمح إلى تجنيد مجموعة من السلفيين، فاصطدم بمواقف السلفيين الرافضة لفكرة التحزب الحركي، وكان جهيمان يتحدث عنه بصفته شخصاً عمل مع الإخوان السلفيين لهدف معين مخالف لما عليه الخط السلفي المرسوم مسبقاً والمتفق عليه، هذا ما سمعته من جهيمان مباشرة. على كل حال ذهبت هذه المجموعة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز وأخبروه بقرارهم تكوين جماعة سلفية تنبذ التمذهب وتدعو إلى التوحيد والتمسك بالكتاب والسنة الصحيحة وأنهم لا يهدفون من وراء عملهم هذا أي هدف دنيوي وأنهم يعرضون عليه منصب المرشد لهم والموجّه، فوافق وأخبروه أن اسمها سيكون الجماعة السلفية فقال لهم: بما أنكم تحتسبون الأجر من الله فليكن اسمها (الجماعة السلفية المحتسبة)، وقد تم ذلك. لم تكن الجماعة سرية بل كانت علنية بشكل مبالغ به حتى إن بعض الأوراق مطبوع عليها اسم الجماعة، وأنا أذكر في حج سنة ١٩٧٧م كان بيد حزام البهلول، وهو يمني من الإخوان ثم تحول إلى الإخوان المسلمين، ميكروفون يعلن فيه انطلاق حملة حج الجماعة السلفية المحتسبة، هكذا يذكرهم باسمهم من دون موارية.

سلطانه وحصل مقصوده؛ والى النصارى ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة، فلما خرجوا لقتال المشركين في العراق الذين يدعون علياً وفاطمة والحسن مع الله؛ لقبهم هو ومشايخ الجهل الذين معه، لقبوهم باسم يكرهه أهل الإسلام وهو "الخوارج".

في المدينة

وذهبت إلى الحرة الشرقية في المدينة المنورة ولم تكن تلك زيارتي الأولى لهم بل ترددت على بيت الإخوان القديم وكان بيتاً ذو فناء واسع متعدد الغرف مستأجراً، وسمعت من الإخوان وقتها إن عبد العزيز بن باز كان يسدد إيجار البيت.

أما هذه الزيارة فقد قررت فيها الاستقرار وسكن المدينة المنورة حيث لا يستطيع المسيح الدجال أن يدخلها وحيث يوجد علي المزروعي وجهيمان وحيث قيادة الإخوان، وسكنت بيت الإخوان الجديد وهو عبارة عن بيت صمم على طراز الأربطة، إذ بُني على الطراز العربي وروعيَ فيه تعدد السكان، كانت الغرف تتسع لثلاثة طلاب وهو من دورين، في كل دور ثماني غرف دائر مدار الحوش وكان ملحقاً به مسجد، وقد بناه أحد المحسنين وسلمه ليكون تحت تصرف الشيخ عبد العزيز بن باز، ووضعه الشيخ ابن باز تحت تصرف الإخوان بإشراف أبي بكر جابر الجزائري. كانت بيوت الإخوان بمجملها في الحرة الشرقية، وكانت بيوت قد بُنيت بشكل عشوائي على أراضٍ مُلكت بوضع اليد، وكانوا يقومون بالبناء في الليل بعيداً عن أعين مراقبي البلدية، وكان بعضهم يدفع الرشوة للمراقب الذي يطلع على عملية البناء غير النظامية، فتمددت الأحياء وكثرت المباني وسيطر الإخوان على أحياء بكاملها، بحيث لا تجد من يبيع الدخان أو يشربه في هذه الأحياء، كما لا تجد من يملك جهاز تلفزيون في بيته، كما إن طريقة بناء هذه الأحياء تتيح لمن يضطر إلى الهرب أن يهرب بسهولة، فلكل بيت فيه بابان **أحدهما** رئيسي للرجال غالباً و**الآخر** خلفي للنساء يفتح على الأبواب الخلفية لعدة بيوت، بحيث يأخذ النساء حريتهن في الزيارات المنزلية، ثم استعملت هذه الأبواب الخلفية بعد ذلك للهرب، وقد هرب جهيمان من أحد هذه الأبواب عندما طُلب في الاعتقال الأول الذي تم في سنة ١٣٩٨هـ، ولذلك حديث آخر سنأتي عليه لاحقاً.

وأنا كنت قد تسللت إلى بيت جهيمان -وكان تحت المراقبة والبيت خالٍ في أوائل سنة ١٣٩٩هـ- لاستعادة أوراقي الثبوتية من الباب الخلفي، وقبل ذلك بمدة وجيزة أخرجنا بعض كتب جهيمان من الباب الخلفي أيضاً، وكان معي عبد الله الحربي. كل ذلك تم والبابان الرئيسان الواقعان على الشارع مراقبيْن ولم يتنبه أحد إلى وجود باب آخر. وحقيقة هم -أي القوات الأمنية- معذورون، فلبيت جهيمان ثلاثة أبواب اثنان منها على شارعين والثالث يفتح على زقاق ضيق لا يسع إلا لشخص واحد للمشي فيه، وهو الذي تستعمله النساء في تنقلاتهن بين بيوت جاراتهن، وهو الذي دخلنا منه لاحقاً بعد فراغ البيت من سكانه بعد الاعتقال الأول بمدة.

كان جدولي اليومي في المدينة مزدحماً فإذا لم أكن مع جهيمان في رحلاته الدعوية فغالباً كنت أدرس على علي المزروعي في كتاب **الرفع والتكميل** أو **بلوغ المرام**، ومقبل بن هادي الوادعي وكنت أدرس عليه أصول البحث والتخريج. ثم قرأت على فيصل محمد فيصل كتاب **الإيمان** لابن تيمية، وقد تكثفت القراءة في هذا الكتاب بعد أن تسلل الفكر التكفيري بعض عناصر الإخوان، ولذلك سبب وهو أن الإخوان قد التقوا ببعض الأفراد من جماعة التكفير والهجرة المصرية (جماعة شكري مصطفى المعروفة بين عناصرها باسم جماعة المسلمين)، فطرحوا بين الجماعة قضايا الحاكمية والموقف من الحكام وفعلوها، وكان على رأسهم شخص عرف بيننا باسم عبد الله المصري وأسامة القوصي قدما للعمرة ثم تخلّفا عن السفر وجلسا ثم استمالا معهما عدداً محدوداً من طلاب الجامعة الإسلامية من مصر وبعض الطلاب اليمنيين. وكان فيصل محمد فيصل قد مر بمثل هذه الأفكار وتبناها من قبل، وتحديداً في سنة ١٩٧٧م حتى أنه ترك سكنى المدينة ونصب له ولعائلته خيمة في منطقة برية في ضواحي المدينة، وكان معه عصام شيخ وانضم إليهم أحمد الزامل بعد ذلك، ولم يستمر وعاد للسكنى بين الإخوان في الحرة الشرقية. ثم عاد عصام وفيصل إلى المدينة، كانت هذه الأفكار التي بات يحملها فيصل تؤرق مضجع جهيمان، خصوصاً وأنها تتلاقى مع أفكار فرقة الخوارج، الاسم الذي يرعب جهيمان جيداً. وصادف في أحد الأيام أن زار المدينة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني فشرح له جهيمان هذه المشكلة مع فيصل، فطلب اللقاء به وفعلاً تم لقاء في بيت فيصل محمد فيصل بترتيب من جهيمان، وحضره يوسف أكبر وجهيمان وفيصل محمد فيصل وعصام شيخ والشيخ الألباني، وتم الحوار حول مسائل الحاكمية والفكر التكفيري وعلاقة هذه الأطروحات بفكر الخوارج، وأن الكفر أنواع، واستشهد له الشيخ الألباني بكلام علماء السلف مثل أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وغيرهم، وسجّل هذه الجلسة على شريط كاسيت يوسف أكبر، وأثناء خروجهم من بيت فيصل أخذ جهيمان هذا الشريط من يوسف أكبر على سبيل الاستعارة حال خروجهم من بيت فيصل مباشرة ولم يرجعه ولم يطلع عليه أحداً. وعلمت بعد ذلك من يوسف أكبر أن جهيمان قد أتلفه مباشرة وكانت وجهة نظر جهيمان أن مشايخ السلطة ينقبون عن مثالب الإخوان ويبحثون عنها، فهذا الشريط دليل قوي على أن الإخوان يحملون فكر الخوارج. على كل حال، خرج فيصل بعد هذا

اللقاء بفكر جديد حول قضايا التكفير والإيمان أقرب إلى الاعتدال في تلك الفترة فكانت الدعوة إلى قراءة كتاب الإيمان لابن تيمية لتحصين الجماعة من الفكر التكفيري وكان خير من يقرأ عليه كتب ابن تيمية هو فيصل محمد فيصل[1] لإلمامه بها وتخصصه بقراءتها وتدريسها.

كان معي في بيت الإخوان في تلك الفترة أحمد حسن المعلم[2] وهو شاعر الجماعة من اليمن، وهو أهم شخص في بيت الإخوان بل يكاد أن يكون المسؤول عن بيت الإخوان. كما أنه عضو في مجلس إدارة الإخوان وكان يدرس في الجامعة الإسلامية، ومقرباً جداً من جهيمان حتى أنه هو الذي صاغ **رسائل جهيمان**، وقام بتصحيحها مع محمد عبد الله القحطاني "المهدي المنتظر" بعد ذلك، وكلاهما شاعر، وكان معي يوسف أكبر وهو شاب من جدة كان يدرس في كلية البترول والمعادن، ثم ترك الدراسة فيها وعيد الشابجي وأحمد بن محمد عبد الوهاب البنا[3] وسجلوا في الجامعة الإسلامية، وجميعهم ترك الدراسة فيها ما عدا أحمد البنا الذي أكمل في الجامعة الإسلامية. وأحمد هذا هو أول من سمعت منه عن جماعة شكري مصطفى "التكفير والهجرة"، وأخبرني أنه تأثر بفكرهم قبل فترة وجيزة وأنه كان يتبنى أطروحاتهم، حتى أنه لم يكن يصلي خلف أبيه في جدة. وقد التقى بهم في العطلة الصيفية عندما كان يقضيها بين أقربائه في مصر، وحينما عاد إلى جدة توقف عن الصلاة خلف أبيه لأنه متوقف فيه حتى يتبين له إسلامه، ثم ناقش والده في هذا الأمر فأقنعه والده بخطأ ما يعتقد ويقول، فعاد إلى رأي جمهور العلماء والأمة والاعتدال، أما عيد الشابجي فاندمج في الدعوة السلفية حتى النخاع، ثم تزوج بأخت محمد عبد الله القحطاني، ثم دخل الحرم مع من دخل. أما يوسف أكبر فترك الجامعة واندمج مع الإخوان، ثم اعتقل في قضية توزيع **رسائل جهيمان** قبل دخول الحرم بفترة وجيزة. والغريب أن يوسف كان يعتقد أن محمد بن عبد الله القحطاني "المهدي المنتظر" لم يمت وإنما حُصر، وكان يجاهر بهذا القول وهو في السجن بعد ذلك، وهو أمر غريب وكان معه على هذا الرأي عبد الرحمن حمودة. ومن الذين عاشرتهم في بيت الإخوان وفي السجن بعد ذلك، خالد الشريمي وحقيقةً لم أجد أحداً عنده نكراناً للذات وسعياً دائباً في خدمة الإخوان مثله. في الفترة الأخيرة وقبل الانشقاق الأول والذي خسر بسببه جهيمان وجناحه بيت الإخوان، كان بيت الإخوان يستقبل مجموعة من المرتادين للمدينة والمعتمرين المخالفين لنظام الإقامة، وكانوا بمجملهم من مصر وأغلبهم من الجماعة الإسلامية من طلاب الجامعات المصرية. واتضح فيما بعد أن بعضهم من جماعة الجهاد وبعضهم من جماعة التكفير والهجرة أو لهم علاقة بها، وكان أكثر ما يُثار وقتها بينهم هو موقف السلفيين من سيد قطب وموقفهم من تكفير الحاكم وموقفهم من العمل لدى الدولة، وكانت تحدث سجالات طويلة عريضة بينهم وبين السلفيين من أصحاب البيت، حتى وصلوا إلى الشقاق والخلاف إلى درجة أن بعضهم يصلي جماعة أخرى بعد صلاة الجماعة السلفية، هذا في حالة إذا لم يقدَّم أحد منهم للإمامة. وعلمت فيما بعد أنهم لا يرون الصلاة خلف من بينوا له منهجهم ولم ينضم إليهم ويتبنى أفكارهم، كانت مجاميعهم تذهب وتجيء إلى بيت الإخوان السلفيين ولم يشعر الإخوان بأي خطر تجاههم واعتبر خلافهم معهم خلافاً في الرأي لا يستدعي الشقاق، وأنهم مجتهدون حتى أنّ ماهر -وهو شاب مصري سبق أن حاز على بطولة مصر في الكاراتيه للناشئين- كان يدرب بعضهم على الكاراتيه على سطح بيت الإخوان، وكنت أنضم معهم في التدريب أحياناً ولم نكن نشعر بنفرة منهم، وكان بعضهم يعمل عند عيد الشابجي[4] في الحفر باليومية.

في هذه الفترة ذهبت لبريدة للدراسة على الشيخ عبد الله الدويش، وفعلاً قرأت عليه في كتاب **بلوغ المرام** وقرأت على الشيخ الغضية في كتاب **الرحبية في الفرائض**، وكان شيخاً فاضلاً متواضعاً مع الطلبة، صبوراً عليهم. وقد حدث لي موقف معه إذ أنه سألني عن بلدتي فقلت له أنا ولادة الزبير وجدي قدم من الدرعية. فقال لي: ماذا تقول بكروية الأرض وهل هي ثابتة؟ فقلت له وبكل عفوية وكما درست في الجغرافيا: نعم الأرض كروية وهي غير ثابتة وأنها تدور حول نفسها وتدور حول الشمس، فقال لي: أنت تحتاج إلى تصحيح عقيدتك وراح أرتب لك درس بكتاب **الصواعق الشديدة على أعضاء الهيئة الجديدة** للشيخ حمود التويجري، وكان معي في التحصيل عبد العزيز العليط رحمه الله، وكنت أنام في مدرسة الإخوان وهم مجموعة من طلاب العلم الشرعي أسسوا هذه المدرسة لأنهم ضد المناهج النظامية أو المدارس الحكومية، وليس لهم علاقة بالإخوان السلفيين وكانوا يأخذون على الإخوان السلفيين نبذهم

---

[1] كان يطلق الإخوان السلفيين على فيصل محمد فيصل ابن تيمية الصغير لحفظه لفتاوى ابن تيمية وآرائه.

[2] أحمد بن حسن المعلم، داعية وشاعر من حضرموت اليمن. ولد سنة ١٣٧٣ هـ يحمل شهادة الماجستير في العقيدة ويشغل عدة وظائف تربوية ودعوية في اليمن.

[3] سألت أحمد هل لهم علاقة بحسن البنا، فقال أنّه تشابه أسماء وليس لهم صلة بحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وأنهم من قرية أخرى غير قرية حسن البنا، وذكر لي منطقتهم في مصر ونسيتها. أما والده الشيخ محمد عبد الوهاب البنا فمن مصر من جماعة أنصار السنة المحمدية، ثم سكن المدينة وحصل على الجنسية السعودية ثم منع من سكن المدينة المنورة بعد حادثة تكسير الصورة، فسكن جدة.

[4] بعد أن ترك عيد الشابجي الدراسة في الجامعة الإسلامية، اشترى كومبريشن Compression وأصبح يعمل في الحفر، وكان الطلب عليهم جيد وقتها وكان بعض عماله المصريين من مخالفي أنظمة الإقامة ممن يأتون إلى العمرة أو الحج.

المذهبية الفقهية وبعض المسائل الخلافية ويغلب عليهم الجانب الزهدي وتكريس وقتهم لطلب العلم والعبادة.. ثم تركت بريدة بعد شهرين تقريباً، وعدت إلى المدينة المنورة وذلك لعدم انسجامي مع المحيط.

في عام ١٩٧٨م بدأت الأزمة تشتد بين المشايخ والإخوان "الجماعة السلفية المحتسبة"، طبعاً بدأت هذه الأزمة منذ عام ١٩٧٦م حينما أفتى علي المزروعي في الحرم المكي في رمضان بجواز الأكل بعد أذان الفجر لأن الأذان لا يدل على دخول وقت الفجر المنهي عن الأكل فيه في رمضان، وإنما يدل على دخول وقت صلاة الفجر وما تلا ذلك من حوار وجدل جر إلى التعريف بموقف الإخوان من الرأي والتشدد في نبذ التمذهب واتباع المذاهب الأربعة. كان هذا الخطاب وقتها جديداً وغير مطروق على المستوى العام، ولم يكن المشايخ الذين ناقشوا علي المزروعي مستعدين للإجابة عن أسئلته التي أوردها عليهم بخصوص الاجتهاد والتقليد. كان الوضع أشبه بالمفاجأة غير المحضر لها وغير المنتظرة، كانت هذه المناقشات وقتها تُظهر مدى جمود أغلب المشايخ وطلاب العلم على متون الفقه الحنبلي[١] وبُعدهم عن كتب السنة وعلم الحديث ومصطلح الحديث، وكان من النادر أن تجد من يملك أدوات تخريج الحديث وتحقيقه. هذه الجلسات كانت السبب في منع علي المزروعي من التدريس في الحرم وهي السبب بعد ذلك في وضع الإخوان موضع الملاحظة الدقيقة من قبل جمهور المشايخ في تلك الفترة خصوصاً، كما إن بعض المنتسبين إلى الإخوان كانوا لا يستفتون شيخاً إلا ويطلبون منه الدليل، فإذا جاء بالدليل من السنة سألوه: هل هو صحيح أو ضعيف؟ ومثل هذه الأسئلة يضيق بها صدر المفتي المقتصر اطلاعه على **زاد المستقنع** وهم الأغلبية، فالإخوان كسروا حاجز الهيبة بين المفتي والمستفتي وجمهروا العلم الشرعي الذي كان حكراً على المشايخ وطلاب العلم، وبثوا روح المحاججة بين العوام ومثل هذا الأثر سيكون له مردود سيّء على مسلك عوام المتدينين، وظهر أثره على عوام الصحوة بعد ذلك من خلال المواقف والآراء، وبعد أن كان العلماء يحتكرون التأثير على العامة أصبح العامة يحركون العلماء نحو أهدافهم أي أصبح التأثير متبادلاً بينهم، ولو أغلق الباب مبكراً في وجه المتنطعين في الدين لما وجد لهم مدخل على العلماء أو حضور بينهم بعد ذلك، لكن غياب مشروع تنويري إصلاحي يتكئ على مقاصد الشريعة ويستمد حضوره من المعاصرة والهم الوطني والاجتماعي بين الفقهاء عموماً وفقهاء الحنابلة على وجه الخصوص، هو الذي ولّد مثل هذه الصدمة التي لم يجدوا لها حلاً إلا بالعودة إلى إسلام القرون الوسطى والفقه الذي وُلد في أحضان أزمان القلاقل والفتن والحروب الصليبية المتمثلة في فقه ابن تيمية وأتباعه، الذي تكرّس أكثر كخطاب يجب العمل به إبان الحرب الأفغانية الروسية وبعد ذلك.

كما أن من الأمور التي نفرت قلوب المشايخ منهم تبنيهم بعض الفتاوى، مثل فتوى الصلاة خير من النوم وأنها في الأذان الأول من الفجر وليس الثاني[٢] وأخذوا يؤذنون به في مسجد الإخوان في الحرّة الشرقية في المدينة والمساجد التي يسيطرون عليها، وكذلك مسألة بدعية المحاريب وأنها لم توجد إلا بعد عصر النبوة فأغلق بعضهم المحراب الموجود في مسجده بالبلوك وأصبح أغلب أئمتهم لا يصلون فيها لقناعتهم بأنها بدعة، وصلاة بعض صغار طلبة العلم بالنعال في المسجد النبوي بشكل يستفز مشاعر العامة، وقد حدث شغب محدود أكثر من مرة بسبب هذه الممارسة في الفترة التي سكنت فيها بيت الإخوان بالمدينة؛ منها مرة حدث أن صلّى طالب في الجامعة الإسلامية تونسي الجنسية اسمه (منير التونسي)[٣] متردد على بيت الإخوان وليس منهم، يغلب على سلوكه النزق. أقول صلى بنعاله في المسجد النبوي ومُسك وحصل بلبلة وتبنى الإخوان مسلكه لأنه كما يرون لم يفعل إلا السنة الصحيحة وحُسب هذا المسلك على الإخوان بكل يسر وكاد أن يُفصل من الجامعة الإسلامية وتوسطوا له وأطلق سراحه.

كل هذه الأشياء جعلت المشايخ يرمون الإخوان بالشذوذ والتنطع في الدين. هذه الأشياء حدثت قبل عام ١٩٧٨م وكان جهيمان يتبنى هذه الأطروحات كما أن وحشة حصلت مبكراً بين جهيمان واثنين من مؤسسي الجماعة وهما سليمان بن شتيوي وسعد التميمي، وسببها أن جهيمان تفرد بالجماعة وأصبح يستبد بقراراتها مثل التبرؤ ممن يسيء إلى خط سير الجماعة الدعوي وعدم تشجيع الشذوذ في الفتاوى، والمشكلة الأكبر أن سليمان وسعد كانا مدرّسين أي موظفين في الدولة وجهيمان ضد الوظائف الحكومية وضد التعليم الرسمي، وكان يُسمعهم بشكل مباشر وغير مباشر موقفه هذا وأحياناً بشكل استفزازي فنفروا منه كما نفر منه فالح بن نافع بعد تخرجه من الجامعة الإسلامية، لأنه عمل في الدولة علماً أن فالح صمت عن هذا الموقف من الوظائف ومن ممارسات الإخوان طيلة الفترة التي يدرس فيها طالباً، وكانت الجماعة تساعده ببعض الإعانات المالية، ثم لما توظف بدأ يعترض على الممارسات الشاذة

---

[١] غالباً متن زاد المستقنع.

[٢] وهو المعروف باسم التثويب.

[٣] قُدّم "منير التونسي" في أحد الأيام ليؤم الجماعة في مسجد الإخوان في صلاة المغرب فقرأ بهم سورة (آل عمران) وطوّل لدرجة أننا قربنا من وقت العشاء، وحين سلّم ارتفع صوت المعترضين والمنكرين وحدثت بلبلة في المسجد، وكان سعد التميمي أحد المؤسسين حاضراً، فطرده من بيت الإخوان مرة أخرى. وهكذا خرج هذا الشخص المستفز وهو يطعن في سلفية الإخوان و اتباعهم للأثر.

والاستفزازية التي كان يمارسها الإخوان، وأصبح يتودد للعلماء والمشايخ وطرد بعد ذلك من بيت فيصل محمد فيصل بعد نقاش حاد بينه وبين فيصل وعصام شيخ، كانت تلك السنة ساخنة بمعنى الكلمة، وعقد اجتماع تحدث فيه الشيخ أبو بكر جابر الجزائري وبحضور مجموعة من المشايخ وحضره من الإخوان ناصر بن حسين وأحمد حسن المعلم وسعد التميمي وفالح بن نافع وأحمد الزامل ومن كان ساكناً في بيت الإخوان مثلي. وملخص تلك الجلسة هو التبرّي من الأفكار الشاذة التي ذكرناها قبل، وأنه يجب أن يؤذَّن بالصلاة خير من النوم في الأذان الثاني وأن من لم يعجبه ذلك يخرج من بيت الإخوان وأن الشيخ أبا بكر جابر الجزائري نائب المرشد هو الذي سيتولى الإشراف المباشر على البيت. وفعلاً أصبح يأتي نسيب الجزائري فيؤذن في مسجد الإخوان في الأذان الأول والثاني ويؤم فيه، أما نحن فقد تركنا بيت الإخوان واحداً تلو الآخر ولم يبق في البيت ممن ذكرناهم أحد. هذه الواقعة تعتبر أول انشقاق بين صفوف الإخوان بشكل جماعي، وانحاز هنا أغلب الإخوان وبشكل واضح إلى صف جهيمان وأصبح هو القائد المطلق لجميع أفراد الجماعة وأصبح بيته مكان تجمع الإخوان، علماً أن جهيمان قد كثف من رحلاته الدعوية في هذه الفترة وأنا كنت معه في أغلبها، زرنا خلالها جميع مناطق المملكة. ويبدو أن هذا الاجتماع لتبرئة النفس أو للتبرّي من الجماعة أكثر منه سعياً صادقاً لتصحيح الخط المتطرف للجماعة، وإلا ما معنى أن يجتمع مجموعة من المشايخ بمجموعة من الشباب محدودي العدد والأهمية ويقرروا سحب البيت من الإخوان، وهل الإخوان هم البيت فقط؟ كان وقتها في كل بلد بيت في الرياض وجدة ومكة والطائف ورنية وحائل والأحساء، كل هذه المراكز لم تعلم بالاجتماع وحين علمت دانت بالولاء لجهيمان. لم يكن لهذا الاجتماع أي فاعلية في تصحيح أوضاع التنظيم، بل بالعكس زادت الأمر سوءاً ووضعت جهيمان موضع القائد الفعلي والمطلق. على كل حال كان هم الجزائري الأول الخروج من ورطة قيادة هذه الجماعة العصية على التطويع من قبله، إذ لم يكن له فيها إلا اسم المرشد، أما العمل التنظيمي الفعلي والأفكار فكانت بيد جهيمان، وكما قلت تكثفت رحلات جهيمان وتكثف خطابه ضد الدولة والوظائف الحكومية وأصبح من العيب أن تكون من الإخوان وأن تعمل في الدولة، وامتد الخطاب المعادي للوظيفة إلى الدراسة في المدارس وأن العلم من الممكن تحصيله عن طريق الكتب والمشايخ واشتد النكير على من يحرص على العلوم البحتة، لهذا انضم إلى الجماعة مجموعة من المراهقين الهاربين من أهاليهم بسبب الدراسة بشكل رئيس وبذريعة وجود الفتن في بيوت أهاليهم مثل التلفزيون والصور، وآوتهم الجماعة في كل مكان.

في أحد الأيام صليت الظهر مع جهيمان في المسجد القريب من بيته كالمعتاد، ثم تغدينا وجلسنا في الحوش الخارجي جهة مدخل الرجال ويفتح على الشارع نشرب الشاي ونبحث في أحد الكتب، وإذا بجمس أحمر حوض عليه شعار إمارة المدينة ورجل ينادي: يا أبو هذال، فخرج له جهيمان وتحدث معه لمدة خمس دقائق ثم سار الجمس وعاد جهيمان متغير اللون وقال لي: إن هذا رجل من الجماعة[1] وأنه أتهم برقية على الإمارة بأسماء مجموعة سوف تعتقل هذه الليلة وأن اسمه على رأس القائمة وأن الترتيب المفترض أن يصلي معه شخص لم يشاهده من قبل وأن يسلم عليه في صلاة العصر للتثبت من شكله، وفعلاً صلينا العصر وسلم عليه رجل لم نشاهده من قبل في الحرة الشرقية ووقف معه وكأنه يسأله في مسألة فقهية ثم عدنا سوية إلى البيت، وبُلّغ مجموعة من الإخوان بالخبر ثم خرج جهيمان يتحدث مع دهام العنزي ثم عاد إليّ وقال: هل تريد أن تخرج معي حتى انجلاء هذه الغمة؟ فوافقت وركبت أنا وهو في وانيت دهام وانطلقنا بعد العصر وتجنبنا الطرق الممهدة المزفّتة حتى لا نتعرض لنقاط التفتيش إمعاناً في الحذر، وسلكنا طريقاً برياً يعرفه دهام جيداً وتوغلنا في الصحراء وحقيقة لا أذكر الطريق الذي سلكناه، إلا أننا سلكنا طريقاً يقع شرق شمال المدينة وقضينا ثلاث ليال في الصحراء وصدنا بعض الضِّباب وطبخناها وأكلناها، إلا أن جهيمان كان يعيش لحظات قلق وكان يريد أن يطلع على أخبار الاعتقالات وهل تمت بالفعل؟ ومن اعتقل؟ فاقترح دهام أن ننزل على عبيد وعابد وهم من الإخوان من أهل المحلاني وهم في الصحراء الآن يرعون غنمهم ويسكنون الخيام. وفعلاً توجهنا إلى مخيمهم جهة الشمال وسأل دهام عنهم بعض البدو القاطنين في بيوت الشَّعر واستطاع أن يعثر عليهم، ونزلنا عليهم وأبلغ عبيد وعابد بالأمر ولم يكن عندهم عنه علم من قبل وطلب جهيمان ألا يتردد اسمه بينهم وفعلاً أصبحنا نناديه بأبي محمد وطلب من عبيد أن ينزل للقصيم لكي يأتي بالأخبار. وفعلاً نزل عبيد للقصيم وبقينا نحن مع عابد ننتظره وحقيقة كانوا أناساً كرماء قليلي الأسئلة يعلّمون أبناءهم في الصحراء القرآن والكتابة والقراءة بكل جدارة، ويتبعون في التعليم مصطلحات البيئة المحيطة بهم نفسها من غير تكلف أو افتعال، وهم يميلون إلى الزهد والتقشف في حياتهم ومعاشهم. معهم أغنامهم ووانيت يجلبون به الماء لهم ولأغنامهم معتزلين بذلك المدن لأنهم يرون أن الفساد والفتن قد كثر فيها وعمّ، وانتظرنا عدة أيام حتى عاد عبيد من القصيم محملاً بالأخبار وأبلغنا عمّن اعتقل في جميع مناطق المملكة ويبلغ عددهم الخمسة والعشرين تقريباً، منهم علي المزروعي ومقبل بن هادي الوادعي وسليمان بن شتيوي في المدينة المنورة والشيخ بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي وعايض بن دريميح في مكة المكرمة ومحمد الحيدري ومحمد عبد الله القحطاني

---

[1] يعني أنه من قبيلته.

المهدي في الرياض وعمر العليط في بريدة وردِن في ساجر وجاري البحث عن جهيمان، وأنّ مزرعة أخيه نايف مراقبة على مدار الساعة، وأحمد حسن المعلم مطلوب ولم يقبض عليه. أتتنا هذه الأخبار فأُصِبنا بوجوم وخصوصاً جهيمان كان قلقاً على أمه. وبعد أيام قال لي جهيمان: أنت لست من المطلوبين وأفضّل أن ننفصل، وفعلاً نزلت مع عبيد عند علِي الحضيني في العمار التي تبعد عن ساجر تقريباً مائة كيلومتر. وكان من أسباب نزول عبيد هو طمأنة أم جهيمان عن طريق علِي الحضيني، وكما قلت نزلنا على علِي الحضيني وكان عنده أحمد الزامل ومطلق بن سهل وأخبرنا علِي بأن ساجر جميعها مراقبة وأن هناك مراقبة على بيت نايف -الأخ الأكبر لجهيمان- على مدار الساعة وأنهم نصبوا خيمة في مزرعته يراقبون منها، ثم ركبنا في وانيت جمس نحن الثلاثة مع أحد معارف مطلق وانطلقنا نحو ساجر بعد العصر، كنت أنا وأحمد الزامل في حوض الجمس ومطلق في الأمام مع السائق وعند اقترابنا من ساجر حصل لنا حادث تصادم مع وانيت تويوتا، ونزلنا نشاهد الحادث ووصل الأمر إلى أنهم طلبوا من أحد المارة تبليغ الدوريات عن الحادث، وركبنا نحن الثلاثة مع هذا الشخص وأنزلنا في ساجر وبقي معه مطلق أما أنا وأحمد الزامل فقد مشينا مسافة حتى وصلنا إلى شعيب. وحسب اقتراح أحمد بقينا في الشعيب حتى حل الظلام ثم توجهنا إلى بيت أحد الإخوان وهو مدوخ العتيبي، وكان هو وأخوه مشعل من الإخوان، وبتنا عنده ليلتنا ثم توجهنا في الصباح الباكر إلى الرياض.

العودة إلى الرياض من جديد

وكما قلت، توجهنا في الصباح الباكر إلى الرياض ودخلتها بعد اعتقال الإخوان بخمسة عشر يوماً تقريباً، كان الجو العام ما بين ساخط ومتعاطف. كانت هذه الاعتقالات الجماعية الأولى من نوعها في المملكة وقتها، إذ لم يحدث أن اعتقلت جماعة إسلامية أو تنظيم إسلامي من قبل، ومن الأسباب التي لمستها في سبب ابتهاج الشباب السلفيين أنهم أصبح لهم صلة بالمعتقلات التي كانت حكراً على الإخوان المسلمين، وكما قال أحد الإخوان: لم يعد أحد أحسن من أحد فكما هم -أي الإخوان المسلمين- دخلوا المعتقلات فعندنا من دخل المعتقلات في سبيل الدعوة إلى الله؛ وهذه النقطة مهمة هنا فالشحن النفسي والفكري الذي بُثّ ويُبث عبر وسائل الاتصال المتعددة التي تصب في مجملها في صالح رواد المعتقلات والسجون من الإخوان المسلمين وغيرهم فيما بعد صنع جيل ينظر لهم على أنهم مجاهدين ومناضلين في سبيل كلمة الحق وأنهم قدوة يجب الاقتداء بهم. بمعنى أصح، صنع منهم طبقة لها أتباع ومناصرون وأنا أرى أنّ استعمال سياسة السجون والمعتقلات كحل وحيد له أضراره الكثيرة فيما بعد والأولى اتباع سياسة الاحتواء الإيجابي، ويتمثل في إعادة تأهيل قادة التنظيم من خلال عدة منافذ، وما يتناسب وميول هذا القائد أو ذاك، هذا الكلام ينطبق أيضاً على إعادة تأهيل العائدين من أفغانستان مثلاً، وتجربة الملك عبد العزيز -طيب الله ثراه- خير مثال على نجاح تجربة إعادة التأهيل حينما ابتكر نظام الأفواج، وضم لها الإخوان الذين حاربوا معه في توحيد المملكة ولم يتركهم لمصائرهم وأهوائهم.

وكما قلت كان الرياض بجماعاته الإسلامية يموج بالأسئلة التي تبحث عن إجابات خصوصاً مصير المعتقلين وعلمت عن طريق أحد الإخوان أن هناك وساطات من قِبَل بعض المشايخ قد تحركت، وبعد أسبوعين دُعينا إلى اجتماع عام نظمه أحمد المعلم في البر على طريق الرياض - المجمعة، وحضره مجموعة كبيرة من الإخوان. وتكلم أحمد حسن المعلم عن الذي حصل مع الإخوان من اعتقالات وأن هذا ابتلاء من الله ليختبر عباده. كان أحمد المعلم هو أكبر قيادي في المجموعة، فهو عضو مجلس الشورى في الجماعة وهو الذي بقي مع جهيمان منهم. وأثناء حديث أحمد المعلم والإخوان منصتون لحديثه، وقفت إلى جانب المجموعة سيارة وانيت ونزل منها محمد الحيدري أمير الإخوان في الرياض، وهو من الذين اعتُقلوا وأخبرنا أنّ الإخوان أطلق سراحهم وطلب منا أن نفض هذا الاجتماع وأنه أُخذ عليه تعهد بعدم التجمع والتحزب، وفهمنا من كلامه أنه لم يعد منضماً إلى الإخوان وحقيقةً كان موقفه شجاعاً في تلك اللحظة وتلك الظروف ولم أقابله بعدها في أي مكان حتى هذه الساعة.

وهكذا أصبحنا بعد ذلك نستقصي أخبار من اعتقل وأفرج عنهم، وعلمنا أنه أفرج عن جميع من اعتقل من الإخوان وعلمنا أن مقبل بن هادي الوادعي قد أفرج عنه مع الإبعاد عن المملكة وسمح له أن يناقش رسالته للماجستير ثم يسفّر بعدها وقد كان ذلك بعد شهرين تقريباً من خروجه من السجن. وحضرت مناقشة رسالته في الجامعة الإسلامية وكانت في كتاب **الإلزامات والتتبع** للدارقطني، في تلك الفترة انتعش حال الإخوان وانضم في صفوفهم مجاميع من الشباب حتى إن بعض الإخوان المسلمين الذين انضموا إليهم أصبحوا ملء السمع والبصر بين الناس وخصوصاً الإسلاميين. فالاعتقال صنع منهم أبطالاً وصبغهم بصبغة مغناطيسية كان الجميع ينجذب إليها ومن لم يكن مقتنعاً بأفكار الجماعة كان يدفعه الفضول لمتابعتها ومتابعة أفكارها، وزاد هذا الأمر وبوتيرة متسارعة بعد توزيع أول رسالة ولذلك حديث آخر. في هذه الفترة توطدت علاقتي بالشيخ عبد العزيز بن باز عن طريق خالد الشريبي فطلبنا أن يُلقي علينا درساً في **سنن الترمذي**، وقد كان. فأخذنا ندرس عليه بعد صلاة الفجر أنا وخالد الشريبي وعبد العزيز السدحان إضافة إلى طلاب علم آخرين يقرؤون على الشيخ كتباً أخرى، وكنت أحضر تجمعات الإخوان في بيت الإخوان أو في بيت أحدهم.

في أحد الأيام التقيت بعبد اللطيف الدرباس، وهو من الإخوان الذين أعرفهم بشكل جيد ويحمل الجنسية الكويتية، وقد أحرق أوراقه الثبوتية مبكراً وسكن المدينة، ثم اتخذ له خيمة في الصحراء؛ وبالرغم من أنه حضري أصلاً إلا أنه يمجد حياة البداوة بشكل فيه جلافة متكلفة، وهذه طبيعة الطارئين على التحول سواء كان دينياً أو اجتماعياً حيث تجدهم في لهاث لإثبات جدارتهم بالموقع الجديد الذي وصلوا إليه. وقد ذكر لي عبد العزيز السدحان أنه كان في مخيمهم في الكويت وكان معه عبد اللطيف الدرباس ووُضع الفطور، وكأن أحدهم استنكف أو اشمأز من الفطور فقام الدرباس كرد على هذا الشخص بذر التراب في الفطور وقال: لهم كلوا، فرد عليه عبد العزيز السدحان بأن هذا مخالف للسنة فقال: له ما دليلك؟ فذكر له قول الرسول للذي وقعت منه التمرة أمط عنها الأذى وكل فسماه أذى، فقال له الدرباس: أنتم تريدون أن تُلبِسوا علينا ديننا!!

على كل حال ذكر لي هذا الرجل أنّ جهيمان قد ألّف رسالة اسمها "**رفع الالتباس عن ملة إبراهيم عليه السلام**" وأنه سيطبعها في الكويت، وأنه -أي عبد اللطيف- ذهب بها إلى دار القبس أولاً فطلبوا مبلغاً عالياً، ثم ذهب بها إلى دار الطليعة ذات التوجه اليساري، وحينما أخبرهم الدرباس بملابسات تأليفها وأن مؤلفها مطارد من قبل الأمن السعودي، تحمست الدار وطبعتها بسعر التكلفة أي أقل من الريال للنسخة علماً أن دار القبس طلبت منهم ثلاثة ريالات

تقريباً للنسخة، وفعلاً طُبعت الرسالة وطلب من دار الطليعة ألا تذكر اسم أو مكان الطباعة وتم لهم ذلك وطبعت الرسالة والرسائل الأخرى بعد ذلك في الدار نفسها[١]. وحصلت بعض الأخطاء الخطيرة مثل أن بعض الطبعات ذكر فيها اسم دار الطليعة ومكان الطباعة الكويت في ذيل الغلاف، فعمد الإخوان إلى قص الاسم بالموس من جميع النسخ، والسبب في حرصهم على عدم ذكر اسم المطبعة أو مكان الطباعة هو أنهم حريصون على تأمين الطرق البرية الترابية بين الكويت والسعودية عن طريق حفر الباطن التي يسلكها مهربو الرسائل من الكويت إلى داخل المملكة، وكذلك مرور الإخوان الذين لا يحملون أوراقاً ثبوتية أو جوازات إلى الكويت أو العكس وكانت الأغلبية العظمى من الإخوان قد أتلفوا أوراقهم الثبوتية لتعصبهم ضد الصور ولموقفهم من الأنظمة القائمة، إذ يرون أن وضع الحدود وتقييدهم بجوازات المرور من حكم الطاغوت ومما لم يأمر به الله، والأَوْلى بالمسلم عدم الامتثال له بل الأَوْلى مخالفته.

وبعد مدة جاءني عقاب العتيبي وقال لي إن مطلق بن سهل يريد أن يراك، وفعلاً توجهت لساجر مع أحد الإخوان ووصلت إلى ساجر وتوجهت إلى مزرعة مطلق، وهناك وجدت عنده أحد الإخوان المشكوك بانتمائهم للإخوان وأنه مدسوس عليهم من قبل المباحث وكان عند مطلق مع عائلته، أظن أن اسمه أحمد وأخذني مطلق على جنب وأسرّ لي أن جهيمان يريد أن يراني وسنرتب لك اللقاء به فيما بعد.. هو الآن غير موجود. حقيقة كنت أعلم أن سبب طلب مطلق لي هو جهيمان ولكني لم أسأل لمقتضيات السرية والكتمان، وبعد ليلتين أيقظني مطلق من النوم وكانت الساعة الثانية تقريباً وقال لي: تعال. وذهبت معه في الجمس لبيت عقاب وفي الحوش الخلفي وجدت عقاب وعيد الشابجي وحامد الأحمدي يتسامرون، وبعد السلام جلست معهم نتجاذب أطراف الحديث، وبعد ساعات جاء جهيمان. وبعد السلام والتحية دخلنا إلى إحدى الغرف الكبيرة وجلسنا على بساط، وكانت الغرفة مليئة بأكياس حمراء إلى سقفها ظننتها أولاً أكياس بصل وبعدها علمت أنها رسالة "رفع الالتباس" أول رسالة يطبعها جهيمان، ووجدت أمام جهيمان نسخة منها وأختام بمقدار السطرين كان يراجعها، ثم قال لي: إن هذه الرسالة قد قرئت على الشيخ عبد العزيز بن باز وقد أضاف لها فقرة بعد طباعتها، فرأوا أن يضيفوها في المكان المقرر لإصرار الشيخ عبد العزيز بن باز عليها، لهذا صنعت أختام بهذه الفقرة لأنه ليس من السهل إعادة طباعتها، فجلست أتحدث معهم وأختم هذه الفقرة في حاشية النسخة الموجودة أمامي. وقال لي جهيمان: من الضروري أن تعتمر وتحث الإخوان في الرياض على العمرة في رمضان هذه السنة لأنك ستستلم الكمية التي ستوزع في الحرم ليلة السابع والعشرين وستجد الإخوان أمامك، ثم استأذن وانصرف.

وبعد ذلك جاء مطلق وأخذني لمزرعته ومنها عدت للرياض وأخبرت بعض الإخوان الذين أثق بهم بتوجهات جهيمان، واعتمرت في رمضان ووجدت الإخوان قد استأجروا عمارة كاملة بعوائلهم وفي الدور الأرضي وجدت كمية كبيرة من أكياس البصل الحمراء في إحدى الغرف، وحينما حلت علينا ليلة السابع والعشرين أخذت الكمية المتفق عليها للحرم، وكان هناك كمية ذهبت للطائف وأخرى ذهبت لجدة وكمية ذهبت للمدينة مبكراً، ووزعت الكمية على الإخوان الذاهبين للحرم وخزّنا كمية من الخلوات مبكراً وفي الركعة الأخيرة قمنا بتوزيعها أمام المصلين، وفي التوقيت نفسه تم ذلك في جميع أنحاء المملكة وكانت تحمل اسم جهيمان الصريح، والغريب أن هناك شباباً تبرعوا بتوزيع الرسالة وأنا أحمل كميات منها وهم ليسوا من الإخوان وأكاد أجزم أن هناك مجموعة ساعدت في التوزيع، وهي تجهل ماذا توزّع ومن هو جهيمان. وبعد صلاة الفجر جلست في الحرم فوجدت الناس يتصفحونها ثم عدت للرياض. وكتب الشيخ بديع بن إحسان الله الراشدي رداً على الرسالة يقول فيه إن ملة إبراهيم ليس فيها التباس، أظنه نشره في جريدة الندوة فانفض من حوله الإخوان، وهذا مما سرع بعودته لوطنه الباكستان.

في هذه الفترة انتظمت أكثر في دروس الشيخ عبد العزيز بن باز وأصبحت أشعر أنّ أمر الإخوان في طريقه إلى الفوضى، فحاولت أن أنظّم نفسي. وفي أحد الأيام مر علينا في الرياض أحمد الزامل وطلب مني مرافقته إلى الطائف وكان معه عائلته واستأجر بيتاً في الطائف وذهبت معه من غير أن أستفسر، لأنني أعلم أن جهيمان هو من طلبني، وذهبت معه وهناك لم ألتقِ جهيمان إلا بعد ثلاثة أيام، وبعد السلام عاتبني جهيمان عتاباً شديداً وقال لي: "ماذا تريدون بالشيخ ابن باز؟ هذا الشيخ فقد بصره وبصيرته وأنتم تلتفون حوله؟ هذا من شيوخ آل سعود، وقد حذرنا منه الشيخ الألباني في جلسة خاصة مشافهة

---

[١] نسب رفعت سيد أحمد في كتاب "رسائل جهيمان العتيبي قائد المقتحمين للمسجد الحرام" مجموعة من الرسائل لجهيمان عن عمد وليست له، ولا أعلم السبب في إصراره على ذلك، علماً أنه لم يعرف رسالة "رفع الالتباس" وأوردها شاكاً بها، كما فاته رسالة مهمة لم يذكرها لأنه لم يعرفها وهي رسالة "دعوة الإخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير؟"، والرسائل التي نسبها رفعت سيد أحمد لجهيمان وليست له هي:

- بيان الشرك وخطره ونسبت لأحد طلبة العلم، وهي لمحمد الصغيروهو يمني -أي المؤلف-.
- أوثق عرى الإيمان.. الحب في الله والبغض في الله، لحسن بن محسن الواحدي -يمني الجنسية-.
- مداخل الشيطان لإفساد القلوب ونسبت لأحد طلبة العلم، وهي لمحمد الصغير-يمني الجنسية-.
- البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل لمحمد عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم).

حيث قال: إن الشيخ ابن باز من الممكن خداعه بسهولة من قبل من حوله فلا تعولوا عليه في القضايا التي تمس بأمن الجماعة وهو سبق أن ورّطنا". كنت أسمع هذا الكلام وأنا لا أجرؤ على مدافعته أو الرد عليه، وانفض اللقاء بعد يومين وعدت إلى الرياض وعدت إلى الدراسة على الشيخ مع مجموعة من الشباب منهم خالد الشريمي. وفي أحد الأيام التقيت بأحمد الزامل فقال لي: جهيمان يقول لك لماذا لا زلتم تدرسون على ابن باز؟ فسكت. ولعل هذا الموقف مني ومن مجموعة من الإخوان من الذين التفوا حول الشيخ ابن باز كان في صالحنا فيما بعد. إذ لم تقتنع بفكرة المهدي وما تبعها بعد ذلك من تبعات منها حمل السلاح في الحرم وإطلاق النار، ولذلك حديث آخر.

بالرغم من هذا الضغط الذي مورس ضدي بسبب دراستي على ابن باز، إلا أن علاقتي بالإخوان لم تنقطع بل توطدت ولم أورّط نفسي في توزيع الرسائل التي صدرت بعد ذلك، الأربع رسائل أولاً ثم السبع رسائل، ولم يعد جهيمان يطلبني إلى أن قال لي أحد الإخوان إنهم سيذهبون إلى المدينة فهل ترغب بمصاحبتنا؟ هذه المرة لم أشعر أن هناك ترتيباً للقاء جهيمان، وفعلاً سافرنا إلى المدينة وعند وصولنا إلى جبل طميّة فضّل أحد الإخوان أن نستريح في ظل الجبل قليلاً. وفعلاً نزلنا وأنزلنا ما نجلس عليه وعملنا الشاي وإذا بوانيت ياباني يقف عندنا وإذا بأحمد المعلم ينزل منه وكان مطلوباً وكنت أظنه في الكويت، وبعد السلام أخبرنا أنه وبعض الإخوان نازلين خلف الجبل. وحينما صعدنا إلى مكانهم وجدنا جهيمان ومحمد عبد الله القحطاني وسلمنا عليهم وشعرت وقتها أن جهيمان ليس كعادته معي من حيث الانبساط والمجاملة، وكنت أعلم السبب وكانت طريقته في توجيه الكلام لي غير مباشرة وهي الطريقة المتبعة لديه إذا أراد أن يبكت أفكار أو مواقف معينة، فإذا اعترضت قال لك: أنا لم أوجه الكلام لك، وهكذا يستفزك من غير أن تستطيع الرد فأنت تعلم أنه يقصدك ومن يوجّه إليه الكلام يعلم ذلك وبعض الحضور، وهذا المسلك هو الذي أبعد سليمان بن شتيوي عن الجماعة.

كانت المجموعة قد تجمعت حول جهيمان من أجل صياغة رسائله التي سيطبعونها وكان المسؤول عن الصياغة محمد عبد الله القحطاني وأحمد حسن المعلم، وهاذان الاثنان هما من كان يصوغ لجهيمان رسائله، وهذا معروف فكلاهما شاعر وكلاهما متمكن من اللغة نوعاً ما، على العكس من جهيمان الذي كان ينبذ تعلم النحو والصرف والإملاء مبكراً بل كان ينقل هذه النبذ لمن حوله، وكثيراً ما قيل إن جهيمان من خريجي الجامعة الإسلامية أو أنه من طلاب دار الحديث في المدينة المنورة، والحقيقة أن جهيمان لم يدرس أكثر من الرابعة الابتدائية وسبب دراسته لها هو أنه كان يطمح بترقية في مهنته كسائق وايت في الحرس الوطني، هذه هي الحقيقة وما عدا ذلك فتخرصات وجميع من استند إلى ذلك يقول كيف معه الرابعة الابتدائية ويكتب هذه الرسائل؟ حقيقة هذه الرسائل كانت تملّى كأفكار إملاءً حتى إن جهيمان لم يكن يدونها كمسودات وذلك لكرهه الكتابة ولرداءة خطه، وكما قلت كان يمليها كأفكار ومن ثم يقوم بصياغتها أحمد المعلم أو محمد عبد الله القحطاني. ومما ساعد جهيمان أنه يتمتع بذاكرة حديدية يستطيع أن يستحضر بها إحالاته ونقولاته حال حاجته إليها.

في عام ١٣٩٩هـ كثر الحديث عن تواتر الرؤى وأننا في آخر الزمان. طبعاً هذا الخطاب كان حاضراً وبشكل ملفت للنظر قبل هذا التاريخ بمدة، وكما أشرت سابقاً أن مجالس الجماعة قبل الاعتقال الأول كان يتخللها أسئلة عن آخر الزمان وعن تأويل الرؤيا التي يراها البعض. وبما أن الجماعة كانت على يقين أننا في آخر الزمان ودعمت الأخبار التي تشير إلى ذلك فقد كانت تصعّد خطابها نحو سيناريو مفترض وهو أننا في آخر الزمان، وفي آخر الزمان يخرج المهدي ومن علامات خروجه تواتر الرؤيا حوله. وفعلاً شكلت هذه القضية هوساً جمعياً بين أفراد الجماعة. يجب هنا أن نسلط الضوء على فكرة العلامات أو الفتن وأشراط الساعة عند جهيمان.

يقول جهيمان في مستهل رسالته "الفتن وأخبار المهدي ونزول عيسى وأشراط الساعة"، واسم هذه الرسالة هو الترتيب أو سيناريو الأحداث التي ستقع والذي سيفصّل فيه جهيمان وهو ترتيب مهم كما سيتضح لنا بعد ذلك.

يقول جهيمان[١]:

> **... بذلت وسعي في جمع أحاديث مما صحّ من أحاديث الفتن وأشراط الساعة لعظم الحاجة إليها اليوم، وقمت بترتيبها حسب أزمنة وأمكنة وقوعها، مع الحرص على التوفيق بين النصوص والجمع بينها وإخراجها في صورة متكاملة لتتم بذلك الفائدة...**

---

[١] مجموع السبع رسائل - رسالة الفتن وأخبار المهدي ونزول عيسى وأشراط الساعة لجهيمان بن سيف العتيبي، صفحة ٣.

ثم يقول جهيمان[1] معللاً سبب جمعه:

> **... وقد سبق إلى الجمع والتأليف في هذا الموضوع... كثير من أهل العلم، ولكنني لاحظت فيما كتبوا أمرين هامين:**
> **الأمر الأول: عدم الاقتصار على الصحيح من ذلك بل جمعوا بين الصحيح والضعيف، ومعلوم أن ديننا لابد أن يصح ثبوته لنعتقده ونعمل به.**
> **الأمر الثاني: عدم التوفيق والربط بين دلالتها وتطبيقها على الو اقع الذي وردت فيه.**
> **لذلك تجد القارئ في تلك الكتب يجد فيها شيئاً من التعارض، بل في بعض المواضع لا يكاد أن يفقه ما دلت عليه، مع أنهم يُعذرون في عدم معرفة ذلك لأنهم لم يروا ما رأينا...**

كنت وقتها معهم جسداً ومن دون قناعة فكرية بما أصبح يتردد، وازداد الأمر سوءاً بالنسبة لي حينما طرحت مسألة المهدي المنتظر وتحديده بمحمد بن عبد الله القحطاني وما يتردد من حث بعضهم بعضاً على تملك السلاح وحيازته لأمر افترضوا حتمية وقوعه لا محالة وامتزج القدري بالمسلكي حتى صعب التفريق بينهما عندهم. وهكذا سارت المجموعة نحو الكارثة، كانت أجواء الجماعة في تلك الفترة ملبدة بأفكار الخلاص والمهدي والمنامات والرؤى. وقد التقيت بمحمد بن عبد الله القحطاني في تلك الفترة وسألته: هل أنت مقتنع فعلاً أنك المهدي المنتظر، فقال لي: أنا لم أكن مقتنع أولاً بما كان يقوله الإخوان من أنني المهدي المنتظر وبعد مدة اعتزلتهم ثم استخرت الله أكثر من مرة حول ذلك وانشرح صدري لذلك في ليلة. فقلت له: من أول من أشار إلى أنك المهدي؟ فقال لي: هذه الفكرة كانت موجودة عند بعض الإخوان في مسجد الرويل قبل أن ننضم للإخوان وكانوا يرددونها أحياناً وكنت أبتسم في داخلي منها وكنت أعتبرها مزحة حتى تواترت الرؤى فأخذتها على محمل الجد، وكما نرى يبدو أن مسألة المهدي عندهم بدأت مزاحاً وانتهت إلى جِدّ جرّ إلى كارثة.

وقد سألت سعد بن عبد الله القحطاني عن تحديد محمد عبد الله القحطاني وأنه هو المهدي وكيف يكون هو المهدي وهم من قبيلة قحطان ومن شروط المهدي أن يكون قرشي من نسل الرسول (أي من أحد البطنين)، فقال لي: إننا أصلاً لسنا من قحطان القبيلة وإننا من قحطان حلفاً وإن جدهم الأكبر من أشراف مصر قَدِم مع الأتراك في حملات محمد علي واستوطن جازان ثم عسير وإنهم كانوا يُعرفون ببيت التركي... في هذه المرحلة بحثت عن مصدر للرزق فعملت في محل لبيع الأواني المنزلية، وبدأت علاقتي بالإخوان تخبو أو تبرد ولم أعد أهتم باجتماعاتهم أو أخبارهم، وحافظت على علاقتي بدروس الشيخ عبد العزيز بن باز وعلاقتي بخالد الشريمي.

وفي أحد الأيام بعد موسم الحج التقيت بأحد الإخوان في المسجد الجامع وأخبرني عن اعتزام الإخوان دخول الحرم في ١ محرم ١٤٠٠هـ وأنهم سيبايعون المهدي المنتظر محمد بن عبد الله القحطاني بين الركن والمقام، وسألني: هل ستدخل معهم؟ فأخبرته بأنني غير مقتنع بقصة المهدي المنتظر. فقال لي: "إن الإخوان جميعهم قد حجوا هذا العام ورابطوا في مكة في انتظار هذا الحدث"، وافترقنا.

كنت أعلم أن هناك مجموعة من الإخوان غير مقتنعين بقصة المهدي ودخول الحرم بالسلاح مثل شيخي علي المزروعي وحامد الأحمدي وفيصل محمد فيصل وعبد الله الحربي، وقد حدث مع كل من فيصل وعبد الله حوادث غريبة، أما فيصل فقد سمعت منه مباشرةً كيف الحرم مع الداخلين وهو الذي لم يقتنع بقصة المهدي ولا يحمل السلاح.

يقول فيصل: "كنت قادماً من المدينة ومررت بمزرعة علِي الحضيني لتعبئة ماء ولراحة العائلة، والتقيت بعلي وبعد السلام جلسنا نحتسي القهوة وأخبرته بموقفي من المهدي وحمل السلاح في الحرم، ثم دخل إلى الداخل وعاد بعد برهة ثم قال لي: هل تريد أن تلتقي بجهيمان؟ فوافقت. وفعلاً خرج علينا جهيمان بعد برهة، وبعد السلام جلسنا نشرب الشاي ثم قال لي جهيمان: أنت يا فيصل رجل الكل يقدرك ويسمع منك وما كان لك أن تتخلف عن الإخوان، فقلت له: أنت تعلم يا جهيمان أنني سبق أن قلت لك إن الله لم يشرح صدري لهذه القضية خصوصاً وأن فيها مخالفات شرعية كثيرة وأنا عندي الصورة ملتبسة لم أستطع أن أميز فيها بين الحق والباطل. فقال لي جهيمان وهو يضرب على صدره: تعال وعليّ. وهكذا ذهبت بعائلتي إلى نجران وعدت ودخلت الحرم وبايعت محمد عبد الله. لم أطلق النار إلا في الأيام الأولى، ثم لما فقدنا محمد عبد الله عدت للخلوات تحت وكلمت جهيمان عن فقدان المهدي وجاءنا خبر من بعض الإخوان أن محمد عبد الله قد قُتِل فغضب جهيمان وقال: إن محمد عبد الله لا يمكن أن يكون قد قُتل لأنه المهدي المنتظر والصحيح أنه حصر

---

[1] مجموع السبع رسائل - رسالة الفتن وأخبار المهدي ونزول عيسى وأشراط الساعة لجهيمان بن سيف العتيبي، صفحة ٣.

في مكان ما من الحرم[١]، واتهم الإخوان الذين شهدوا قتل محمد عبد الله بعدم اليقين بمهدية محمد عبد الله وأنهم يسعون إلى الإرجاف بين صفوف الإخوان، وهكذا لم يجرؤ أحد بعد ذلك على تكرار القول بمقتل المهدي أو أسره خشية التهمة". وسألت فيصل عما كان يعمله في القبو فقال لي: "كنت معتزلاً في زاوية من الخلوة مع الجرحى والمصابين. والغريب أن الإشاعات والرؤى كانت تتواتر بيننا بشكل غريب مثل خبر الخسف في الجيش القادم من تبوك الذي سألتك عنه". وكان فيصل قد سألني أول دخولي إلى الزنزانة معه عن صحة خبر الخسوف بالجيش القادم من تبوك فأخبرته عن عدم صحة ذلك، وأن أي شيء من الأحداث المرتبطة بخروج المهدي المنتظر لم يقع منها شيء. فاستغرب ذلك وقال: "كان هناك في الخلوات كل يوم رؤيا أو خبر حتى أن جهيمان هو الذي بث خبر الخسف بالجيش، وقال إن أحد الإخوان سمعه من راديو القوات المحاصرة لهم في موقعه المتقدم للحراسة"، مثل هذا الكلام ليس له أساس من الصحة طبعاً وغالباً هو مزيج من الكذب والخطأ والهلوسة.

أما عبد الله الحربي فحكايته أعجب من حكاية فيصل؛ كان عبد الله معتزل الإخوان لعدم قناعته أيضاً بمهدية محمد عبد الله وحمل السلاح في الحرم، فاعتزل الإخوان قبل دخولهم الحرم بشهور، ولما وقع اقتحام الحرم أخذت عبد الله الحمية وقرر أن يقوم بحركة لتخفيف الحصار على الإخوان من خلال القيام بعملية لاقتحام الحرم النبوي مشابهة لعملية اقتحام الحرم المكي، فذهب لساجر بحثاً عن أعوان بين قبيلة جهيمان، واصطدم بنقطة تفتيش وطلبوا منه التوقف فعصى الأوامر والإنذارات المتكررة وهرب منهم وحاول مقاومتهم بإطلاق النار عليهم من السلاح الموجود بحوزته. وبعد إنذاره المتكرر تبادلت معه قوات الأمن إطلاق النار فوقع قتيلاً، وقد أخبرني بقصته أحمد العسكري وهو يمني من الإخوان يعمل في الزراعة في ساجر ولم يدخل الحرم، وكان معه في هذه الواقعة وكان يحثه على الاستسلام إلا أنه رفض ذلك.

الدخول إلى الحرم

قبل الخوض في آلية دخولهم إلى الحرم يجب أن أشير أنّ مجمل ما سأرويه هنا أنا أحكيه عن فيصل محمد فيصل وبعض من سجنت معهم ممن دخلوا الحرم.

علمت بنيّة الجماعة في دخول الحرم والاعتصام به في محرم مصادفةً إذ التقيت بأحدهم في الرياض بعد خروجي من المسجد الجامع في العقد الثاني من شهر ذي الحجة، وبعد السلام سألني: هل ستذهب لمكة ومبايعة المهدي؟ فأخبرته بعدم قناعتي بمهدية محمد عبد الله القحطاني، فأخبرني أن الإخوان قد تواصوا فيما بينهم على التجمع في مكة ودخول الحرم فجر صباح ١ محرم ١٤٠٠هـ وسيبايعون المهدي بين الركن والمقام.. بعد ذلك وقع الحادث في التاريخ المذكور وحدث لغطٌ حماسي بين المجموعة التي تقاعست عن دخول الحرم بسبب عدم قناعتها في قضية المهدي المنتظر، وكانت الصحف هي المتوفرة لدي كمورد وحيد لحادثة الحرم.

وطالت أيام القتال داخل الحرم وخشيت أن اتصل بأحد من الإخوان فيُلقى القبض عليّ، وبقيت على هذه الحالة حتى إلقاء القبض علي في ١٥ محرم ١٤٠٠هـ وبعد التحقيق معي وأخذ إفادتي نقلت إلى سجن بُني حديثاً على طريق مكة - المدينة، وهناك وضعت في غرفة وكان معي فيها فيصل محمد فيصل اليامي وقد فوجئت بوجوده لمعرفتي السابقة بموقفه من تحديد المهدي بمحمد عبد الله القحطاني، وقد سبق أن أشرنا إلى كيفية دخوله الحرم، ولنكمل ما حدثني عنه، يقول: "ذهبت بأهلي إلى نجران وعدت إلى مكة وكان الإخوان على قدم وساق في التحضير لدخول الحرم، فجهزوا وايتين (سيارتين خاصتين بنقل الماء) والسبب في أنها سيارات نقل ماء أن هناك في بدروم الحرم بئر يشرب منها بعض أهل مكة، فمن المعتاد أن تقف هناك سيارة أو سيارتان في البدروم تنتظر دورها في تعبئة خزّانها. المهم أن الإخوان ملأوا إحدى السيارتين بتمر والأخرى بالسلاح والذخيرة، كما أنهم ملأوا خزانات الوقود الرئيسة والاحتياطية في الوايتين تحسباً لكل طارئ، علماً أن بعض الإخوان من أهل مكة قد أدخلوا بعض قطع السلاح الخفيفة وخبأوها في أكثر من خلوة من خلوات الحرم الموجودة في البدروم قبل موعد الاقتحام بأيام، وكانت الخطة تقضي بأن يدخل السلاح بثلاث طرائق يتسلسل استعماله زمنياً. هكذا تدخل المجموعة الأولى وهي بسلاحها الفردي المصطحبة معها من خارج الحرم أو الحاصلة على بعضه من داخل الحرم والمخبّأ في الخلوات، ومهمتها تأمين الساعة الأولى ويدخل الوايتات في الساعة نفسها ثم تدخل الجنائز الوهمية محمولة على أعناق الإخوان وكان أكثرها جنائز نساء، والسبب أن جنائز النساء مقببة

---

[١] لقد كان هناك مجموعة من الإخوان قد رفضت فكرة قتل المهدي المنتظر محمد عبد الله القحطاني أو موته حتى بعد فشل حادثة الحرم وفشل فكرة المهدي وتعرف أخويه عليه سعيد وسعد و ابن اخته بين الجثث، وقد كان بعضهم يقسم أنه لم يمت مثل عبد الرحمن حمودة -وهو فلسطيني- ويوسف أكبر.

فلا تصف ما تحتها كما أنها تحمل أكثر وأدخلت الجنائز الحرم قبل التكبيرة الأولى ووضعت في مكان قصيّ في الحرم بعد التكبيرة الأولى وتم الأمر هكذا. قام الإمام الشيخ محمد السبيل بالتكبيرة الأولى وكان الإخوان قد وزعوا عناصرهم على جميع أبواب الحرم بحيث إن كل باب كان عنده عنصر أو عنصران..

يخبرني أسامة عواد إبراهيم القوصي وهو مصري في السنة النهائية في كلية طب القاهرة وقدم مساعدة طبية للإخوان داخل الحرم وهو ممن دخل الحرم وبايع المهدي، أن الإخوان بدأوا في إغلاق أبواب الحرم بمجرد بدء الإمام بقراءته يقول: "كنا نسمع إغلاق أبواب الحرم ونحن خلف الإمام نصلي".

وهنا يخبرني أحدهم أنهم سمعوا إطلاق رصاصة واتضح فيما بعد أن مطلقها أحد الإخوان بسبب مشادة بينه وبين أحد حراس الأبواب غير المسلحين وقتها، وأن هذه الرصاصة قد ارتدت على مطلقها فقتلته. تنوقلت هذه الواقعة بين الإخوان لأن هذا الرجل سمي أول شهيد في حادثة الحرم[1]، يخبرني أحد الإخوان أنهم سمعوا أصوات تكبير من بعض الإخوان المتحمسين أثناء الصلاة.. ولا أدري هل هذا التكبير إشارة لأمر متفق عليه بينهم أم إنها جاءت عفوية بعد أن سلّم الإمام وقام ليصلي صلاة الميت، بادرت مجموعة من الإخوان إلى الميكروفون وسيطروا على الوضع وسط هتافات التكبير والحمد، وحاول الشيخ محمد السبيل إمام تلك الفترة أن يعظهم فلم يسمعوا له، بل اقتيد هو وبضعة عساكر إلى إدارة الحرم حيث تحفظوا عليهم في إحدى الغرف، وبدأ توزيع دفعة من السلاح ثم بدأ خالد اليامي خطبته المكتوبة والتي سرد بها أهدافهم من اقتحام الحرم ومبرراتهم حول ذلك كما هو مثبت في نصها الذي أوردناه في الملحق رقم ٢ [خطبة الحرم]، وكان جهيمان يقاطع الخطبة ويعطي توجيهاته لأتباعه وتوزيعهم على مواقع معينة داخل الحرم أو يعلق على موقف معين، وبعد ذلك وزع السلاح والذخيرة على الموجودين في صحن الحرم، ووقف محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المنتظر) بين الركن والمقام كما ورد في نص حديث الرسول (...) فبايعه أولاً جهيمان ثم بايعه باقي الإخوان الموجودين حوله. ثم قام نور الدين بن بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي بترجمة الخطبة للأوردو لمجموعة من الباكستانيين. قال لي أحد من شهد هذا الموقف أنّ نور الدين كان يخطب في الباكستانيين مشهراً مسدساً يلوح به في الهواء، وبعد أن أنهى كلامه قامت مجموعة من الباكستانيين ممن خطب بهم نور الدين بالهتاف: "مهدي.. مهدي.. مهدي".

وتمت البيعة للمجموعة الموجودة في صحن الحرم، ثم قيل لمحمد عبد الله القحطاني (المهدي) إن هناك بعض الإخوان لم يبايعوا بسبب أنهم متمركزين في مواقع دفاعية وليس من المصلحة أن يتركوا مواقعهم فقرر محمد عبد الله المرور عليهم في مواقعهم وأخذ البيعة منهم وكان بعضهم في المنارات وبعضهم في المسعى وبعضهم فوق سطح الحرم وعند المداخل، وفعلاً تم ذلك ومر محمد عبد الله عليهم وأخذ البيعة منهم وحثهم على الصبر في القتال.

وحصل في هذا الوقت قنص من المنائر على القوات الموجودة في الخارج فردّت عليهم القوات واستعر الرمي والقنص وحاولت مركبة مدرعة الدخول من المسعى من جهة المَرْوة ففجرت بعبوات مولوتوف مكونة من زمزميات فخارية كانت تستعمل في السقاية وبنزين وفتيلة من القماش[2].

ووضع متاريس مكونة من السجاد المطوي في المسعى وفي بعض الأماكن وأمّن بعض الخلوات بالماء والتمر والذخيرة لتكون مكان إمداد وملجأ ومكان راحة في هذه الفترة، وأعني الثلاثة الأيام الأولى كان محمد عبد الله (المهدي) يمر خلالها على المرابطين في مواقع الدفاع ثم انقطعت أخباره عنهم وذكر أحدهم لجهيمان أنّ محمد عبد الله قد أصيب في المسعى، وذكر له آخر أنه قُتل في المسعى، فغضب جهيمان وقال لهم: إن المهدي لا يمكن أن يُقتل قبل أن يحقق رسالته التي من أجلها اختير كمهدي هو لم يقتل وإنما حُصر وشاع بين الإخوان أن المهدي قد حصر في مكان ما من الحرم.

يقول فيصل محمد فيصل: "بعد نهاية اليوم الثالث لم يشاهد أحد محمد عبد الله (المهدي المنتظر) وتضاربت المعلومات حول قتله وإصابته وحصره ومنع جهيمان من يردد معلومة قتله من ترديدها، وتجادل معي -أي فيصل محمد فيصل- حول ذلك خصوصاً وأني طلبت منه التسليم وعدم إطلاق النار بسبب أن العامل الأساسي وهو المهدي مجهول المصير، وأننا في الحرم ولا يجوز رفع السلاح فيه فما بالك بإطلاق النار؟ فغضب مني وقال لي: إن هذا الكلام يبث روح الهزيمة بين الإخوان والمهدي لم يقتل ولن يقتل حتى تتحقق باقي العلامات المنصوص عليها ونحن الآن ننتظر العلامة الثانية وهي الخسف بالجيش القادم من تبوك لكي يقاتلنا والمهدي حُصر في مكان ما من الحرم وسنفك حصاره".

يقول لي فيصل: "وعندما رميت سلاحي وأويت لإحدى الخلوات منتظراً الخسف بالجيش القادم من تبوك".

---

[1] كما أنه والد زوجة محمد عبد الله القحطاني (المهدي المنتظر) ووالد زوجة سعيد أخو المهدي ولا أذكر اسمه إلا أنه من عسير (عسيري).

[2] كل هذه المواد كانت متوافرة وقتها في الحرم، فالزمزميات الفخارية كانت هي الأداة المنتشرة والمستعملة في سقاية الناس. ماء زمزم والبنزين كان موجود في خزانات الصهريجيْن اللذين استعملا في إدخال التمر والسلاح، أما القماش فمتوافر بكثرة.

يقول لي فيصل: "بعد حديثي مع جهيمان والذي تم بعد اليوم الثالث بيومين أتانا جهيمان وأخبرنا أن الرؤيا قد تواترت بأن الجيش القادم من تبوك قد خسف به وبعد ذلك بيومين أتانا أحد الإخوان وهو مستبشر، وقال: إن فلان من الإخوان وهو من أهل الصدق والورع وكان مرابطاً في الخطوط الأمامية سمع في الليلة الماضية الراديو الموجود عند العسكر وكان صوته واضحاً أن الجيش القادم من تبوك لمحاربة الإخوان المعتصمين بالحرم قد زلزلت الأرض من تحته وخسف به وأن خسائرهم كبيرة فكبّر بعض الإخوان"..

وكان السبب في تطرقنا لهذا الموضوع أنا وفيصل أنه سألني حالما رآني معه في الزنزانة عن صحة خبر الخسف بالجيش القادم من تبوك، فنفيت ذلك له وأخبرته عن استقرار الأوضاع وأن الحياة عادت إلى طبيعتها في مكة نفسها وذلك بعد شهر محرم الحرام ومما فهمته من مجموعة منهم أنهم كانوا يسمعون يومياً بأحلام أو بأخبار كانت تروج بينهم وعليهم، كلها تعزز قضية المهدي أو الخسف بالجيش أو تحث على الصبر والثبات. وأنا أظن أن المجموعة أصيبت بحالة من الهوس الجمعي أو كانت تحت تأثيره خصوصاً وأنهم في أواخر السبعة أيام قد حصروا في خلوات الحرم، وكان جهيمان يخرج بمجموعات من أعوانه فيطلقون النار عند أبواب القبو.

وكما انحسر القتال من المنارات والسطح إلى الدور الثاني ثم انحسر إلى الدور الأول إلى البدروم، ومن مجمل البدروم إلى أجزاء متفرقة من غرف البدروم، وفي اليوم الأخير حصروا في غرفة أو غرفتين وفتح عليهم فتحات من السقف ورموا عليهم قنابل مسيلة للدموع وفي جميع مراحل المواجهات كانت مكبرات الصوت تناشدهم أن يستسلموا وأن يلقوا السلاح.

أفكار جهيمان

كثيراً ما سُئلت عن جهيمان بن محمد بن سيف الضان الحافي العتيبي، فما قام به هذا الرجل من دخول الحرم بالسلاح في شهر محرم الحرام وفي بلد الله الحرام وانتهاكه لحرمة الدم الحرام، كل هذه المحرمات وضعته موضع التساؤل والاستفسار كما أنها وضعتها موضع التقوّل والتخمين وذلك بسبب أن جهيمان يكاد أن يكون شخصية مغمورة نسبياً وقد لا يكون معروفاً إلا عند القلة[١] من المشتغلين في العمل الإسلامي وذلك قبل سنة ١٩٧٨م، أما في هذا العام وما بعده فاسم جهيمان أصبح يتردد على كثير من أفواه المشتغلين في العمل الدعوي الإسلامي كإسلامي هارب من العدالة بسبب تأليفه للمنشورات، وهو مسلك جديد على النمط الدعوي المعارض والمتعارف عليه في البلد والمتمثل غالباً في الخطب والمساجد وانتشر اسمه بعد ذلك انتشاراً عالمياً بسبب حادثة دخوله الحرم، ولكن بقي المعروف منه هو اسمه فقط من غير تفاصيل تذكر مما أدى بسبب جهالتهم لحاله إلى الوقوع في الكذب والخطأ والتخمين.

نشأ جهيمان وترعرع في هجرة ساجر، وهي إحدى الهجر التي أنشأها الملك عبد العزيز للإخوان[٢]، وسجل في الحرس الوطني جندياً كقائد وايت ثم حاول أن يحصل على الشهادة الابتدائية لكي تساعده على الترفع الوظيفي كما قال لي ذلك بنفسه، وقال لي أنه ترك الدراسة وهو في الصف الرابع ابتدائي ثم دخل معهد دار الحديث القسم الابتدائي لفترة قصيرة جداً لا تتعدى الفصل الدراسي الواحد ثم ترك الدار لعدم قدرته على المواصلة. خرج من الدار ساخطاً على المناهج وأسلوب التدريس مما كوّن لديه موقفاً عدائياً من الدراسة النظامية سينعكس فيما بعد على سلوكه الفكري وتعلم القراءة منذ تلك الفترة، أما الكتابة فيكاد أن يكون أُمّياً فيها وقد اطلعت على كتابات جهيمان المبكرة وكانت عبارة عن خط غير مقروء إلا بمشقة بسبب سوء الخط ووفرة الأخطاء الإملائية واللغوية، وبعض الكتب التي تملكها في مكتبته الخاصة عليها بعض كتاباته وتهميشاته وتعاليقه التي صب الكثير منها في الرسائل التي ألفها فيما بعد، إلا أنّ ما ساعد جهيمان كثيراً هو ذاكرته الحديدية وقدرته على الاستدلال لأفكاره وجموده على ظاهر النص، ويجب أن نشير هنا إلى أن جهيمان كان عَزُوفاً عن كل علم لا يستطيع هو التعامل معه، بل كان كثيراً ما يعترض على علوم هي مكمّلة للعلوم الشرعية مثل علم النحو وعلم أصول الفقه بذريعة مهمة في العقل السلفي وهي أن السلف الصالح لم يتعلم هذه العلوم.

ومن الممكن أن يحتج عليك جهيمان أو أي واحد من الإخوان بالتقوى وأنها هي البديل عن تعلم هذه العلوم لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[٣]، بل قد أشار جهيمان إلى ذلك في رسالة "البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل" بقوله[٤]:

---

[١] باستثناء طبعاً جماعته التنظيمية "الجماعة السلفية المحتسبة" والتي كان يمثل فيها رمزاً دعوياً وأحد مؤسسي الجماعة الفارض لأفكاره عليها بقوة.

[٢] يُقال أنّ هجرة ساجر نشأت سنة ١٣٣٣هـ الموافق تقريباً ١٩١٤م بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله.

[٣] سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

[٤] رسائل جهيمان، جمع رفعت سيد أحمد: صفحة ٣٧٤.

وكان الأعرابي يأتي من البادية يسأل عن الإسلام ويجلس عند النبي ﷺ مجلساً واحداً، يخرج منه بما يدخل به الجنة -إن صدق-، أخرج البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الراس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: "خمس صلوات في اليوم والليلة"، فقال: هل عليّ غيرهن؟ قال: "لا، إلا إن تطوع"، وقال: ذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: "لا، إلا أن تطوع"، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق"، أو "دخل الجنة إن صدق".

فيا تُرى هذا الأعرابي كيف يتعلم الصلاة؟ يتعلمها بأن يصلي أمامه أحد الصحابة رضي الله عنهم، لأن الرسول ﷺ علمهم كذلك كما في قوله: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[١]، يعطونه أحاديث النبي ﷺ المعدودة الواردة في شأن الزكاة والصوم في وقت يسير، وهب أنه قضى اليوم بكامله ليعرف كل هذا ويرجع إلى قومه عالماً بدين الله عزوجل يبلغه كما سمعه.

أقول: لو جاء هذا الأعرابي إلى متفقهة هذا الزمان؛ لهوّلوا عليه العلم ولكتموا عنه ما أنزل الله، ولقالوا: له افعل كذا ولا تفعل كذا، ولعددوا عليه الأركان والواجبات والشروط والمبطلات والفروض حتى يحار، فإن لم يجد في ذلك هداية وبرهاناً وحجة، وقال: أريد أن أطلب العلم وأعرف ما الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا: هيهات! بينك وبينه مفاوزلكن احفظ المتون ثم اقرأ الشروح واحفظ القرآن و اقرأ التفسيروتعلم اللغة والنحووووو... ثم إذا أمضيت سنتين من عمرك في هذا هناك يحق لك أن تستخرج المسائل من النصوص وأما قبل ذلك فليس لك إلا أن تسيركالأعمى وراء ما يقول لك الشيخ! و إياك أن تحدث نفسك بأن تراجعه في شيء فضلاً عن أن ترد من أقواله شيئاً!!

وقد ناقش جهيمان مجمل شروط الاجتهاد وردها بإجراء ساذج كثيراً ما يتعلق به السلفيون فقال[٢]:

وأما الشروط التي تجدهم يدندنون بها ويشترطونها فيمن يجوزله أن يتفقه في النصوص ويستخرج منها الأحكام، فإنها تحتاج إلى أدلة من الكتاب والسنة، ثبت في الصحيحين قول رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله أيما شرط، ليس في كتاب الله فهو باطل.. باطل.. باطل، وإن كان مائة شرط". وقد أوصلها بعضهم إلى عشرة شروط وثلاثة عشر شرطاً وغيرذلك.

وهو رد أي شرط ليس في كتاب الله طبعاً (الجماعة السلفية المحتسبة) عموماً وجهيمان يستخدمون هذا الخطاب ليس فقط لتحري سبيل المؤمنين وإنما هو درعهم الواقية ضد أي تطوير أو تحسين، وهو علامتهم على تحري اتباع السنة النبوية من خلال الفهم العامي الساذج أو حتى البدوي للإسلام.

يقول جهيمان[٣]:

والذي يفرّق بين طالب العلم والعامي، وبين من عنده آلة ومن ليس عنده، لا يستطيع أن يضع حداً محدوداً للمرء حتى يكون طالب علم أو صاحب آلة، ويكفيه أنه يتحكم في عباد الله ويقسمهم، ويفرق بينهم فيما أوجبه الله عليهم جميعاً، ولا برهان عنده من الله ورسوله، ولا يجد الفرق هذا كان في أصحاب رسول الله ﷺ، كيف؟! والعامي يجب عليه أن يكون طالب علم، يقول الرسول ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم وإن طالب العلم ليستغفرله كل شيء حتى الحيتان في البحر"[٤]، إذاً فلماذا خلقه الله؟ إلا ليعبده بما شرع.

---

[١] رواه البخاري.

[٢] رسائل جهيمان، جمع رفعت سيد أحمد: صفحة ٣٧٧.

[٣] رسائل جهيمان، جمع رفعت سيد أحمد: صفحة ٣٧٨.

[٤] أخرجه ابن عبد البرفي جامع بيان العلم وفضله، وهو صحيح.

هذه آلية التفكير السلفي وما زالت حيث نجد عندهم قوالب من الحجج الجاهزة مثل قولهم هذا شرط ليس في كتاب الله وسنة رسوله، وقولهم ما لم يفعله السلف ويسعنا ما وسعهم وبعضهم يطلق على المباح المحدث (بدعة) وكل بدعة ضلالة، أما المصالح المرسلة وتفعيل المصلحة وتحديث المفاهيم فليس في خطابهم لا من قريب ولا من بعيد، بل تجد في خطابهم المنع للأحوط وتفعيل باب سد الذرائع الذي حرموا من خلاله ما أحل الله.

إن من يدخل مكتبات الإخوان في الحرة الشرقية أو في مزارع ساجر وحائل سيجد أن نمطها واحد، فهي تحتوي أولاً على كتب الألباني وتخريجاته، ثم متون الكتب الستة أو العشرة، وبعض كتب شروح الحديث مثل كتاب **سبل السلام في شرح بلوغ المرام** وكتاب **فتح الباري شرح صحيح البخاري** وكتاب **نيل الأوطار**، وكتب رجال الحديث مثل **تهذيب التهذيب** و**تقريب التهذيب** و**لسان الميزان** وجميعها لابن حجر العسقلاني و**ميزان الاعتدال** و**الكاشف** و**الضعفاء** وجميعها للذهبي وغير ذلك من كتب الرجال. هذه الكتب غالباً موجودة في مجمل مكتباتهم، بل إن تجميع الكتب أصبح شبه عرف بينهم وأصبحت تجد بعضهم يتباهى بمكتبته مع انعدام علمه أو اهتمامه بطلب العلم. لقد كان بينهم من يجمع الكتب ذات الجلد الأحمر وهكذا تجد مكتبته حمراء غالباً..

أما إذا انضم إلى الإخوان جديد فيبدؤون تعليمه أولاً طرق البحث في كتب الرجال وتخريج الأحاديث، وإذا كان هناك وقت قرؤوا شيئاً من مصطلح الحديث، ولم أجد الجماعة يوماً اهتمت بتجويد القرآن تلاوةً وتقويماً بالرغم من كثرة العوام في هذه الجماعة ووضوح خطئهم في تلاوة القرآن في مجالس الدعوة وعلى المنابر التي ارتقوها بعد ذلك.

هناك نقطة يجب الإشارة إليها، وهي أن جهيمان لم يرتقي منبراً في أي منطقة حضرية وغالباً أنه يرتقي المنابر الموجودة في التكتلات السكانية البدوية، والسبب هو أنه يتحاشى المناطق التي من الممكن أن يُنتقد فيها لغوياً (نحواً وصرفاً و...) وحتى علمياً.

النقطة الثانية هي موقف جهيمان من المدارس والدراسة الحكومية النظامية، يقول محمد عبد الله القحطاني (المهدي)[١]:

> **ولابد لنا هنا من تنبيه على فساد طلب العلم في هذه المدارس والمعاهد والكليات التي انخدع بها الكثير من الناس، ووجوه إبطالها كثيرة قد تحتمل رسالة مستقلة، ولكنها يكفي أنها تقوم أولاً على معصية الله بالصور المحرمة، ويجد فيها الدارس من جلساء السوء، ولا يتعلم فيها الدارس الكتاب والسنة إلا على طريقة التقليد المذموم، ثم لا تخلو من المنكرات، وتجد الدارس فيها يسكت عن إنكار المنكر ويداهن، وبسط الأدلة فيما ذكرنا يطول وتجدها منثورة في هذه الرسائل فارجع إليها، ثم انظر إلى ما يخرج به الدارس في هذه المدارس يتضح لك الأمر إن شاء الله.**

طبعاً هذا الكلام هو رأي جهيمان وهو الكلام المنتشر في مجالس الإخوان وهو خطاب مصاحب لنشأة المدارس مبكراً في البلد، حيث نجد هذه الحجج والحيثيات حاضرة عند جمع من أولياء الأمور وبعض طلاب العلوم الشرعية في الفترة المبكرة من نشأة المدارس للبنين، وكان بعض المشايخ يرون أن مدارس المعارف (المدارس غير المخصصة للعلوم الشرعية) تعلم الطلاب علوماً كفرية مثل كروية الأرض ودورانها وغير ذلك، وكثير من حجج الإخوان في هذه المسألة مأخوذة عن علماء سبقوهم في هذا الطرح. هذا الكلام شجع كل من يرغب في الهرب من المدرسة والدراسة أن ينضم للإخوان، لهذا تجد مع الإخوان جمعاً من أحداث الأسنان بل إن بعضهم هرب من أهله وانضم للإخوان مثل عبد العزيز السدحان (الشيخ المعروف).

وقد أورد جهيمان في آخر رسالة "رفع الالتباس" قصيدة لمحمد عبد الله القحطاني[٢] يشخّص فيها حال عبد العزيز السدحان ودوافع هروبه من أهله، يقول جهيمان:

---

[١] رسائل جهيمان - رسالة البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل: صفحة ٤٠٢. نسب هذه الرسالة لجهيمان خطأ رفعت سيد أحمد، والصحيح أنها لمحمد عبد الله القحطاني (المهدي)، كما وردت هذه الرسالة منسوبة لجهيمان في موقع أبي محمد المقدسي (منبر التوحيد والجهاد).

[٢] لم ترد هذه القصيدة منسوبة إلى محمد عبد الله القحطاني (المهدي) والسبب أن محمد عبد الله لم يصدع بالعداوة للدولة جهرة وقتها ولم يكن مطلوباً، بل أطلق سراحه من الاعتقال العام الأول لعدم ثبوت إدانة عليه.

ونحب أن نختم هذه الرسالة بقصيدة نظمها أحد الإخوان، وهي حكاية لحال الشاب المؤمن الذي يهديه الله عزوجل إلى طلب العلم النافع ونصر السنة والصدع بها في هذا المجتمع الذي لا يحتفل بالسنة وتحقيقها ولا بالعمل بها، هذا المجتمع الذي كثرت فيه المغريات التي تصد الناس عن سبيل الله، فقال فيها:

عبد سرى في ليلة ظلماء
هرباً بتقواه من الفحشاء
هرباً من الفتن التي حاطت به
من فتنة السراء والضراء
عبد فتيٌ في مستهل شبابه
عرف الهدى وطريقه بصفاء
قرأ القرآن تفهماً وتدبراً
وكذا اهتدى للسنة الغرّاء
ورأى حياة الصالحين سعيدة
بالخير في الإصباح والإمساء
فتشوقت نحو السعادة نفسه
وغدا يهدهد شوقه بخفاء
حتى إذا التزم الهدى بعزيمة
لله خالصة من الأهواء
نادت به فتن الضلالة جهرةً
ودعته بالتزيين والإغراء
وتزينت دنياه في أثوابها
بمباسم ونواظر كحلاء
وغدت تغرّ الناس في إغوائها
حتى أضلت أكثر الدهماء
ونشأ بمجتمع به اختلط الهدى
بقوى الردى والنور بالظلماء
والناس تأخذ منه ما يرضي الهوى
فإذا تعارض فهو في إقصاء
إن جئت بالحق الصريح تقيمه
وصدعت فيه بسنة بيضاء
لم يعرفوها قبل ذا من جهلهم
أو لم ترد بوصية الآباء
قامت قيامتهم ورُوّع جمعهم
ورأوك مبتدعاً وذا إغواء
أتريد تبديلاً لدين شيوخنا
وطريقة العظماء والوجهاء؟
ومتى عرفتَ هدي النبي ودينه؟
بالأمس كنت فتىً مع الجهلاء!
فإذا أقمت عليهم حجج الهدى
ودمغت باطلهم بدون خفاء

قالوا هداك منفّرومشدّد
وإذا به استمسكت أنت مرائي
لما أتاهم بالهدى هذا الفتى
نفروا نفور الحمر والحمقاء
واستهزأوا بسلوكه وبدينه
وعن الهدى فتنوه بالإيذاء
وإذا رأوه يلين أو طمعوا بأن
يصغي لهم فتنوه بالإغراء
فتن على درب الهدى تُغري الفتى
وأضرهن لفتنة السراء
فتضايقت أخلاقه من حاله
كتضايق الإيمان في الأهواء
بغض الدراسة حيث كان قوامها
أخلاط سوء شاع في الجلساء
بذل النصيحة جهرة وبخفية
لذويه والأصحاب والزملاء
لا سيما في أهله وقرابة
جهلوا فناداهم بلطف نداء
لكنهم لم يسمعوا قول الهدى
لما أتى من أصغر الأبناء
بل حاربوه بكل أمرٍ منكَر
ورموه بالتعقيد والإعياء
لم ينقموا منه سوى أن قالها
الله ربي جهرتي وخفائي
زادوه ضيقاً بعد ضيق فالتجأ
يشكو إلى المولى عظيم بلاء
ويقول يا رباه عبدك مؤمن
إني لأخشى فتنة الدهماء
إني أخاف من الضلال و إنني
أدعوك فاقبلني وضعف دعائي
أَنْقِذ غريقاً في الدجى قد راعه
موج يهيج ووحشة الظلماء
الموج عاصفة الضلال ظلامه
إن الهدى متلبس بخفاء
كيف المقام وكيف لي أن أكتم
الحق الصريح لرهبة ورجاء
وبيانه لابد فيه من السلاح
العلم أفلق حجة الجهلاء
قد شرقت فتن وسرت مغربا

طلب الحديث بمكة الزهراء
أعني بذلك أولي الحديث وحزبه
العاملين بهديه الوضّاء
هذي حكاية حال أصحاب الهدى
في غمرة الإغراء والإغواء
يا رب فاحفظهم وثبتهم على
نصر الهدى والسنة البيضاء
وارزقهم إحياءها ببصيرة
وارزقهم صبراً على الإحياء
واجعل لنا فيها نصيباً و افراً
يا رب و انصرنا على الأعداء
أعداء سنة أحمد من بدلوا
كدراً هدى المختار بعد صفاء
يا رب واجعلنا من الناجين
إن عاقبتهم بزعازع النكباء
يا رب إحدى الحسنيين وعدتنا
يا رب واحشرنا مع السعداء

......

ثم انتقل جهيمان للعيش في المدينة المنورة، ولكن لماذا المدينة المنورة؟ يقول جهيمان: اخترت سكنى المدينة لما ورد فيها من الفضائل ولأن الدجال لا يدخلها، ويذكر أنه كان يصاحب مجموعة من جماعة التبليغ واكتشف فيما بعد أن معهم أفراداً من الإخوان المسلمين صاحبوا جماعة التبليغ لكسب شباب لصالح جماعة التبليغ؟! هذا ما فهمته من جهيمان! وعن طريق هذه الجماعة قرر جهيمان مع المجموعة التي ذكرناها سابقاً تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة..

كان جهيمان وقتها يعمل عسكرياً في الحرس الوطني برتبة عريف، وعمله فيها قائد سيارة وايت وكان قبل أن يتدين يعمل في شركات مقاولات كقائد شاحنة كنور أو كمهرّب بين الكويت والرياض كقائد سيارة فورد؛ هذه الأمور حدثت في أوقات متقاربة وعمله كعسكري هو بداية النفرة بينه وبين السلك العسكري خصوصاً والعمل في الوظائف الحكومية عموماً، وسبب تركه العسكرية فيما بعد هو تأثره بكتابات الشيخ حمود التويجري خصوصاً في كتاب **الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين**، وهو كتاب شدد فيه المؤلف النكير على من تشبه بغير المسلمين بل يكاد أن يكون قد أخرجهم من الملة في بعض المواضع، قال:

<u>النوع الثالث والعشرون</u>: من التشبه بأعداء الله تعالى الإشارة بالأصابع عند السلام؛ وكذلك الإشارة بالأكف مرفوعة إلى جانب الوجه فوق الحاجب الأيمن كما يفعل ذلك الشُرَط وغيرهم.
وكذلك ضرب الشُرَط بأرجلهم عند السلام ويسمون هذا الضرب المنكر والإشارة بالأكف التحية العسكرية، وهي تحية مأخوذة عن الإفرنج وأشباههم من أعداء الله تعالى، وهي بالهزء والسخرية أشبه منها بالتحية، ولكن ما الحيلة فيمن غيّرت طباعهم المدنية الإفرنجية و أثرت فساداً كثيراً في أخلاقهم و أفعالهم حتى صاروا يستحسنون من أفعال الإفرنج وغيرهم من الأعاجم ما يستقبحه أولوا العقول السليمة والفطر المستقيمة. وهذه التحية المستهجنة من جملة المنكر الذي ينبغي تغييره والنهي عنه لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من تشبّه بقوم فهو منهم". رواه الإمام أحمد و أبو داود وصححه ابن حبان وغيره من الحفاظ.
وفي جامع الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "ليس منا من تشبه بغيرنا. لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف".

وروى الحافظ أبو يعلى والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها فعل اليهود"، قال الهيثمي رجال أبي يعلى رجال الصحيح وقال المنذري رواته رواة الصحيح.

وفي رواية للبيهقي: "لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فإن تسليمهم إشارة بالكفوف والحواجب"، قال البيهقي إسناده ضعيف.

قلت له شاهد مما تقدم وما يأتي، وهو ما رواه النسائي بسند جيد عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: "لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرؤوس والإشارة"، وفي مستدرك الحاكم من حديث ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "هدينا مخالف لهديهم"، يعني المشركين قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وو افقه الذهبي في تلخيصه.

وقد رواه الشافعي في مسنده من حديث ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة مرسلاً ولفظه: "هدينا مخالف لهدي أهل الأوثان والشرك".

إذا علم هذا فقد اختص الله تبارك وتعالى المسلمين بأفضل التحيات و أكملها وأزكاها وهو السلام الذي علمه الله تبارك وتعالى لآدم أبي البشر حين نفخ فيه الروح وأخبره أنه تحيته وتحية ذريته من بعده كما في الصحيحين والمسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال: اذهب فسلّم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله" الحديث.

وقد شرع الله تبارك وتعالى لهذه الأمة أن يسلم بعضهم على بعض بهذه التحية المباركة الطيبة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[2].

قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري يعني: فليسلم بعضكم على بعض.

وفي جامع الترمذي عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من قومه قال: طلبت النبي ﷺ -فذكر الحديث وفيه- فقال -يعني النبي ﷺ-: "إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

وفيه أيضاً عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي جري جابر بن سليم الهجيمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام، فقال: "لا تقل عليك السلام ولكن قل السلام عليكم".

وبهذا السلام المبارك الطيب يسلم الرب تبارك وتعالى على المؤمنين إذا دخلوا الجنة كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[4].

وروى ابن ماجه في سننه و ابن أبي حاتم والبغوي في تفسيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة قال وذلك قول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾".

وبهذا السلام المبارك الطيب تسلم الملائكة على المؤمنين إذا دخلوا الجنة كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[5].

وقد تقدم ذكر تسليمهم على آدم بهذا السلام المبارك الطيب.

---

[1] سورة النور: الآية ٢٧.

[2] سورة النور: الآية ٦١.

[3] سورة يس: الآية ٥٨.

[4] سورة الأحزاب: الآية ٤٤.

[5] سورة الرعد: الآيات ٢٣-٢٤.

وكما إن السلام هو تحية المسلمين فيما بينهم في الدنيا، فكذلك هو تحيتهم فيما بينهم في الدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[2].

وإذا عُلم فضل السلام وأنه تحية المسلمين في الدارين فليُعلم أيضاً أنه لا أسفه رأياً ممن رغب عن ذلك واستبدل عنه بإشارات الإفرنج وضربهم بالأرجل.

والله المسؤول أن يوفق ولاة أمور المسلمين لمنع هذه الأفعال المخالفة للشريعة المحمدية.

وقد اتخذ هذا الكلام ذريعة لترك العسكرية بل إن أغلبهم كان يصطحب كتاب توصية من الشيخ عبد العزيز بن باز مدعّم بكلام الشيخ حمود التويجري الآنف الذكر.

بيان رفع الالتباس

تعتبر رسالة "رفع الالتباس" البيان الذي ضم الأفكار التي تسببت في الخلاف بين الإخوان مما نتج عنه شقاق وعزلة بعض الإخوان للجماعة، ففي هذه الرسالة اختار جهيمان الصدام مع الدولة والسلطة والمجاهرة بذلك كمسلك دعوي يتوسل بمسائل الحسبة والصدع بالرأي كما كان يفعل النبي إبراهيم عليه السلام، وقد وضح جهيمان لمفهومه لملة إبراهيم بقوله:

تقوم ملة إبراهيم على أصلين:

١- إخلاص العبادة لله وحده.

٢- التبرؤ من الشرك وأهله وإظهار العداوة لهم.

وقد أمر رسولنا ﷺ باتباعه عليه السلام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4].

ولا ريب أننا مأمورون باتباع هذه الملة ومن رغب عنها منا فقد سَفِه نفسه.

وقد سار عليها الخليلان ونالا الخلة بذلك كما في صحيح مسلم رحمه الله حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً".

فملة إبراهيم هي ملة نبينا ﷺ وهي ملتنا وهي أسوة نبينا وأسوتنا، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[5].

فظهر مما تقدم أن ملة إبراهيم عليه السلام هي البراءة من الشرك وأهله ومفارقتهم ومقاطعتهم، ولم يتم ظهور دين الإسلام إلا بتطبيق هذا الجانب، وهو مفارقة من في الأرض كما في البخاري في كتاب الاعتصام من حديث جابر رضي الله عنه الطويل وفيه: "ومحمد فرّق بين الناس"، وكما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الرؤية.

وقد انتقد جهيمان في هذه الرسالة ثلاث فئات من الدعاة أخلوا بمنهج إبراهيم في الدعوة:

أما حال من التبس عليهم الأمر عمداً أو جهلاً، فلنسرد لك أعمالهم و أقوالهم ليتجلى لك حالهم:

---

[1] سورة يونس: الآية ١٠.

[2] سورة إبراهيم: الآية ٢٣.

[3] سورة النحل: الآية ١٢٣.

[4] سورة الأنعام: الآية ١٦١.

[5] سورة الممتحنة: الآية ٤.

تقول طائفة منهم إن قيام الدين أساسه محاربة القبوريين وإظهار العداوة لهم والتحذير منهم ومحاربة الصوفية وأهل البدع.

وطائفة أخرى تقول بقول الطائفة الأولى وتزيد عليها بالحمل على التعصب المذهبي الأعمى والدعوة إلى الذب عن الحديث وتصفيته مما أدخل فيه، وذلك جل همهم.

وثالثة فتنت بالشيوعية والرد عليها و إثبات وجود الخالق والسعي الجاد في السيطرة على المراكز الهامة في الحكومات بقصد السيطرة على الحكم.

يقصد جهيمان هنا في الطائفة الأولى جماعة أنصار السنة[١].

ويقصد في **الثانية** الجماعة السلفية أتباع الألباني في الشام والكويت ويقصد في **الثالثة** جماعة الإخوان المسلمين.

ويقول:

أما الطائفة الأولى والثانية ومن شاكلهم، فيظهر لنا من حالهم أنّ ما قاموا به حق لا ينكر. ولكن لما كان هذا القيام منهم في مواجهة من لا سلطة في يده، وأنهم سكتوا عن أصحاب السلطات فيما يقومون به من هدم لدين الله، كان طريقهم الذي سلكوه هو الذي ضل به من كان قبلهم..

وقال في الطائفة الثالثة:

والطائفة الأخيرة تسير خلاف هدي الرسول ﷺ وتنهج طريق تحكيم الأفكار، فمن مبادئهم التخفي تحت أستار شتى، ويحاولون أن يغدروا بمن يعملون تحت سلطته.. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في صحيح مسلم: "لا غدر في الإسلام". ويقول في حديث علي رضي الله عنه في البخاري في غزوة خيبر: "فادعهم للإسلام".

وكذلك هؤلاء إذا رأوا من يدعو إلى التوحيد وذم الشرك بأنواعه والبدع بأنواعها وبيان السنة الصحيحة وتصفيتها مما ليس منها، تراهم يتهمونه بالقصور في فهم الإسلام ويوجهون إليه انتقاداتهم مدعين أن الأمر أكبر من ذلك (وهي الشيوعية).

....

حدث جدال داخل الجماعة وكثير ما يحدث حول موضوع اعتزال الفتن والمجتمع، وكان سبب هذا الجدل هو قرار محمد الزامل وفيصل محمد فيصل وعصام شيخ الخروج من المدينة وذهابهم إلى الصحراء وسكناهم الخيام من باب العزلة للمجتمع، وهنا حدث عندهم التناقض بين ما ورد من آثار تحث على عزلة المجتمع وما ورد من آثار تحث على سكنى المدينة المنورة وأن المدينة تنفي خبثها. الخلاصة خرجت هذه المجموعة ونصبت خياماً قرب المدينة في مكان لا يصلح للنزول أو للسكنى، مكان كالح لا يوجد فيه من حولك شجر ولا نبات، أتيتهم فيه وأصبت بالقمل لبياتي عندهم. كان المكان موحشاً بمعنى الكلمة، جبال سوداء وأرض حجرية سوداء ولا خدمات، لا أدري لماذا يعذب الإنسان نفسه وعائلته ويتأزم طوال الوقت، أتيتهم في هذا المكان فوجدتهم حائرين في وقتهم يشتكون القمل وشح الماء وعدم التأقلم مع المحيط ولم أجد لهم نشاطاً إلا التدرب على الرماية كان معهم بندقية يرمون بها على أهداف معينة.

بت عندهم عدة ليالٍ كانت عذاباً بمعنى الكلمة ثم تركتهم ونزلت للمدينة المنورة ومن المدينة ذهبت للرياض، وكنت أعاني من القمل فنصحني أحد الإخوة الخبراء بالقمل أن أستعمل مسحوق تايد وأن أضعه على رأسي مثل الحنّاء، وفعلاً لم أتخلص من القمل إلا بهذه الطريقة الفتاكة.

---

[١] جماعة أنصار السنة المحمدية أسسها الشيخ محمد حامد الفقي سنة ١٩٢٦م في القاهرة؛ من أهم أهدافها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة البدع والشركيات. كان لهم أتباع في السودان وغيرها، عرفهم جهيمان عن قرب والتقى ببعض عناصرهم من السودانيين خصوصاً.

بعد ذلك ذهب أحمد الزامل للمدينة ولم يعد وتبعه فيصل وعصام، إن هذه التجربة كانت فاشلة بجميع المقاييس.

الحاكمية الملحمية في فكر جهيمان

من الأمور التي نلاحظها في فكر جهيمان هو سذاجة الطرح لهذا الموضوع -أعني الحاكمية- وعدم امتلاكه لرؤية شاملة لفقه الواقع، يقول في رسالته "رسالة الإمارة والبيعة والطاعة وحكم تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام":

> **وإذا تأملت الحديث ونظرت إلى الو اقع؛ رأيت أنه قد حصل العمل والنتيجة، فحينما لم يحكم هؤلاء الحكام بكتاب الله ولم يتحروا فيما أنزل الله؛ وقع البأس فيما بين المسلمين، فكثرت الفرقة والاختلاف وأصبح بعضهم يسعى لإبطال ما عند الآخر وتفرقوا شيعاً وأحز اباً، والله قد نهاهم عن ذلك، ولكن هذا كله من ثمرة تعطيل الحكم بكتاب الله وتحري ما أنزل الله.**

وأنا أعلم أنّ جهيمان هنا عنده من هذه القضية شذرات من العلم وهي من أخطر القضايا التي تؤرق الدعاة والمصلحين وتناولها بشكل كلي بهذه الصورة لا ينفع الطرح العلمي، حتى أنه قال:

> **واعلم أن غالب المنتسبين إلى الدين والزهد من بعد القرون المفضلة لا يهتمون بهذا الجانب...**

يعني هنا الحاكمية ولن نستطيع أن نفهم كلام جهيمان إلا إذا علمنا أنه يرى أن حكم المسلمين مر بأربع مراحل لا من حيث واقعها التاريخي أو الزمني، وإنما من حيث تحقق النص الملحمي، ففي فصل الخلافة التي على منهاج النبوة والمُلك الجبري، أورد جهيمان حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

> **عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" ثم سكت[1].**

هذا التسلسل هو الذي بنى عليه جهيمان فكره ومنهجه الحركي، فهو لم يتناول الخلافة العظمى كموضوع قائم بذاته وإنما تناوله كخبر ملحمي جزمي الوقوع بهذا الترتيب لا محالة.

فهي **أولاً**: النبوة أو الرسالة، ثم ترفع أو تنتهي.

وثانياً: الخلافة على منهاج النبوة ويعني هنا دولة الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم تنتهي.

وثالثاً: المُلك العاض، ثم ينتهي.

ورابعاً: المُلك الجبري، والذي يرى جهيمان أننا فيه، وهو ما عمل على التدليل عليه.

وخامساً: الخلافة على منهاج النبوة.

ولو تأملنا كلام جهيمان في هذه الرسالة فسنجد أن مجمل كلامه تناول فيه "الملك الجبري" و"الخلافة على منهاج النبوة" كتمهيد لمشروع مستقبلي تناوله بحتمية نصية لا شك فيها وهو بيعة المهدي المنتظر.

---

[1] رواه أحمد وهو حسن.

المُلك الجبري

ورد مصطلح "الملك الجبري" في حديث النعمان بن بشير السالف الذكر ولا أعلم أنه ذكر في موضع آخر، وحسب الترتيب هو رابع صور الحكم التي سوف تمر بها الأمة، ويأتي بعد "الملك العاض" وقبل الخلاف على منهاج النبوة وقد فسره بعض العلماء بـ"ولاية المتغلب".

يقول جهيمان:

> **وإذا نظرت اليوم في تطبيق هذا على الو اقع؛ رأيت أنا نعيش اليوم في المُلك الجبري، الذي ليس المسلمون فيه هم الذين يختارون الخليفة و إنما هو الذي يفرض نفسه عليهم، ثم يبايعونه بيعة مجبورين عليها، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أنه ينعزل، كلا بل الأمر جبري وأن حكام المسلمين اليوم لم يبايعوا الناس على ما بايع عليه الصحابة رسول الله ﷺ من القول بالحق حيثما كانوا ونصرة الدين، بل على نظام وقو انين ليس فيها من الشرع إلا ما و افق الهوى وأما ما خالف فلا، والمقصود أنه ليس خلافة على منهاج النبوة.**

ثم تناول البيعة في حال الملك الجبري فقال:

> **واليوم إنما يحكم المسلمين الملك الجبري، الذي ليس مبنياً على البيعة وقد خالف شرع الله في عدة أمور منها:**
> **١) أنّ الحكام فيه ليسوا من قريش.**
> **٢) أنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون أهله.**
> **٣) أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفقة اليد ونصرة القلب وطوعه واختياره، بل بالجبروالقهر.**
> **وبهذا تعرف عدم وجوب بيعتهم وطاعتهم.**

إن أهم نقطة ذكرها جهيمان هي مسألة "القرشية" وهي الأساس لهذا الطرح التمهيدي لاقتحام الحرم.

الخلافة على منهاج النبوة

ويعني بها هنا المهدي المنتظر.

الآخر في فكر جهيمان

يمثل الآخر غالباً في فكر جهيمان عدة مستويات حسب القرب والبعد من منهج "الجماعة السلفية المحتسبة"، وكما ذكرنا سابقاً ما قرره من موقف من "جماعة الإخوان المسلمين" و"جماعة الدعوة والتبليغ" و"جماعة أنصار السنة المحمدية" وموقفه من بعض "طلاب العلم" كما جاء ذلك في رسالة "رفع الالتباس" نجده أكثر عنفاً مع المخالف له في العقيدة مثل الآخر الشيعي والآخر المسيحي من غير مراعاة أنّ الأول يمثل شريحة تسكن معه في الوطن نفسه، لها حقوق المواطنة نفسها التي يتمتع بها وعليها الواجبات نفسها.

فهو يقول:

> **وامتازت دولتنا بقسط و افر من هذا التلبيس -منها ومن علمائها- والتي تسمي نفسها اليوم بـ"دولة التوحيد"، و إنما وحدت لبن صفوف المسلمين والنصارى والمشركين، و أقرت كُلاً على دينه كالرو افض وحاربت من خالف ذلك، وقاتلت من قاتل المشركين الذين يدعون علياً والحسين، وقد حاربت كذلك عبادة القبوروالقباب وأرست قواعد عبادة الريال.**

ثم قال:

> **و أقرب مثال وأوضحه؛ مؤسس دولتهم الملك عبد العزيزوالمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه... فقد دعا "الإخوان" رحمهم الله الذين هاجروا في القرى المختلفة هجرة لله عزوجل، دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون**

البلاد... على أنه إمام المسلمين، ثم لما استقر سلطانه وحصل مقصوده؛ والى النصارى ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة، فلما خرجوا لقتال المشركين في العراق الذين يدعون علياً وفاطمة والحسن مع الله.

يذكرنا هذا الموقف بحيثيات وأسباب خروج الإخوان على الملك عبد العزيز ومنها منعهم من مقاتلة الشيعة واستعانة الملك عبد العزيز بالمسيحيين في تحديث المرافق الصناعية في الدولة، وهو جائز شرعاً، وهو يدل على مدى تأثر جهيمان بفكر الإخوان المتقدمين ومواقفهم.

الملحق رقم ١ - الأمة الحالمة: دور الحلم في تكريس الخطاب الإسلامي السلفي

بقلم: ناصر الحزيمي

قال أحمد بن حنبل: "كان سفيان إذا قيل له أنه رئي في المنام قال أنا أعرف بنفسي من أصحاب المنامات"[١].

إن الدافع على تأليف هذا الكتاب[٢] أنني كنت في يوم من الأيام أنتمي إلى "الجماعة السلفية المحتسبة"، والتي رفعت من شأن الحلم ومجّدته وسلكت طريقاً اختطه لها الحلم إلى آخره، والذي انتهى بنهاية الجماعة حال دخولها الحرم ومبايعتهم لمحمد عبد الله القحطاني بين الركن والمقام، وقدّم للعالم الإسلامي على أنه "المهدي المنتظر".

كانت "الجماعة السلفية المحتسبة" وقبل حادث الحرم كأي جماعة إسلامية قامت أساساً على مبدأ الدعوة إلى الله حسب الطرق التقليدية "التذكير في المساجد والأماكن العامة"، كما أنها ومنذ نشأتها المبكرة في أواسط الستينات نهجت نبذ التمذهب واعتنت بالسنة عناية خاصة فتبنت تصحيحات الألباني للحديث وكتبه، ولعل السبب في ذلك يعود إلى وجود بعض من درس على الألباني في "الجامعة الإسلامية" من مؤسسي الجماعة مثل "سليمان بن شتيوي".

هذا بشكل مجمل منحى هذه الجماعة ولن أدخل في دور الحلم في تكوين الفكرة الخلاصية عندهم إلا بعد أن أسلّط الضوء على منزلة الحلم أو الرؤيا في الخطاب السني السلفي خصوصاً.

الرؤيا في الخطاب السلفي

مشكلة الرؤيا أن مفهومها ملتبس في الحديث النبوي من حيث النص والمفهوم، ولنأخذ **صحيح البخاري** الذي فيه أهم الأدلة حول الرؤيا وأصحها عند جمهور علماء السنة، حيث جاء فيه: "... عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ثم أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...".

هذا الحديث ورد في كتاب الوحي[٣]. إذاً الرؤيا الصادقة في المنام وحي من الله أو هي إحدى الطرق التي كان الرسول ﷺ يتلقى الوحي من خلالها، وجمهور العلماء يرون أن ذلك خاص بالأنبياء أعني الرؤيا التي يراها الأنبياء مناماً، كما حدث مع النبي إبراهيم والنبي يوسف عليهما السلام.

كما أن هذا الحديث يؤسس لأحاديث أخرى أثارت إشكالية كبيرة وما زالت، مثل حديث: "... أبا قتادة عن النبي ﷺ قال: ثم الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان"[٤].

وحديث: "... أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ يقول: ثم إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره"[٥].

بل إن البخاري عقد باباً قال فيه: "باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة".

وأورد فيه حديث "... أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: ثم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم فليتعوذ منه وليبصق عن شماله فإنها لا تضره".

إلا أن أهم النصوص في هذا الباب هنا، حديث "عبادة عن الصامت عن النبي ﷺ قال: ثم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"[٦].

---

[١] الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الجزء ١٥ - صفحة ١٧٥.
[٢] هذه الورقات جزء من كتاب (الحلم ودوره في صناعة الحدث).
[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١ - صفحة ٨.
[٤] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٢ - صفحة ٣٦٨.
[٥] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٢ - صفحة ٣٦٩.
[٦] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٢ - صفحة ٣٧٣.

وحديث "أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ثم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"[١].

وحديث "أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ثم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"[٢].

وفي باب المبشرات من **صحيح البخاري** "أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة"[٣].

هذه الأحاديث الواردة في صحيح البخاري أسست لوحي غير معلن ومسكوت عنه وأصبح مخرجاً لكل من يبحث عن تشريع[٤] أو موقف يحتاج إلى تعزيز وشحن ولا نستغرب إذا أعلن أحدهم عن موقف مصيري استناداً إلى الرؤيا، فقد يمارس العنف والقتل والهوس باسمها استناداً إلى هذه الأحاديث، وكم حدثنا التاريخ عن مثل هذه الممارسات، والغريب أن الرؤية والإيمان بها على هذا الوجه أصبحت من أصول العقيدة عند عرّاب الفكر السلفي الإمام أحمد بن حنبل، جاء في **طبقات الحنابلة**[٥] نص في عقيدة أهل الأثر قال[٦]:

> **... أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسي الأصطخري قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، فكان قولهم إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص ويستثنى في الإيمان، غير ألا يكون الاستثناء شكاً إنما هي سنة ماضية عند العلماء... والرؤيا من الله عزوجل وهي حق إذا رأى صاحبها شيئاً في منامه ما ليس هو ضغث فقصها على عالم وصدق فيها وأوّلها العالِم على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف، فالرؤيا حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء عليهم السلام وحي فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء، وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام، وقد رُوي عن النبي ﷺ أن رؤيا المؤمن كلام يكلم الرب عبده وقال إن الرؤيا من الله عزوجل وبالله التوفيق...**

هذا هو الموقف السلفي من الرؤيا من دون مواربة، فمن خالفها أو طعن فيها فهو زائغ عن الحق إلى آخر ما ذكر من نفي من ربقة سبيل الحق، وإن حاولوا في كثير من الأحيان الصمت حيال ذلك خصوصاً حال إخفاقات الرؤى والمنامات كما حدث في واقعة الحرم، فالخطاب السلفي العام يقول أنّنا في آخر الزمان الذي هو في انحدار[٧]، وقد جاء في **صحيح البخاري**: "... حدثنا محمد بن سيرين أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: ثم إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب..."[٨].

هذا ما طبّقه الكثير من السلفيين والجماعات الخلاصية على الواقع وخرجوا بنتيجة مؤداها أننا في آخر الزمان وأننا في زمن خروج المهدي المنتظر[٩]، وقبل ذلك ومنذ أن عرفت "الجماعة السلفية المحتسبة" وهي تمجد الرؤيا وترفع من شأنها حتى انتشر بينهم مؤولوا أو مفسروا الأحلام، وكانت الرؤى تحظى من

---

[١] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٢ - صفحة ٣٧٣.
[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٢ - صفحة ٣٧٣.
[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٢ - صفحة ٣٧٥.
[٤] خصوصاً عند من لا يُعملون العقل في الفقه ويقفون عند ظواهر النصوص القرآنية والنبوية، كما هو حاصل في الخطاب السلفي عموماً وخطاب الصحوة بشكل خاص.
[٥] طبقات الحنابلة لمحمد بن الحسين بن أبي يعلى الفرّاء، الجزء ١ - صفحة ٢٤، في ترجمة "أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الأصطخري".
[٦] قال القرطبي في تفسير سورة يوسف: "... وعلى الجملة فإن الرؤيا الصادقة من الله وأنها حق ولها التأويل الحسن وربما أغنى بعضها عن التأويل وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة..."؛ وجاء في الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (صفحة ٤): "سُئل رضي الله عنه: ما حقيقة الرؤيا؟ فأجاب نفع الله بعلومه: بأن حقيقة الرؤيا عند جمهور أهل السنة خلق الله تعالى في قلب النائم أو حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظان وهو تعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه عنه نوم ولا غيره، وعليه ربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه في المنام وربما جعل ما رآه علماً على أمور أُخَر يخلقها تعالى في الحال أو كان قد خلقها فتقع...".
[٧] لهذا من الخطأ أن نستغرب عدم وجود مشروع مستقبلي للجماعات الأصولية فهي تعتقد عموماً أننا في آخر الزمان والذي هو بالضرورة وحسب النصوص المعتمدة عندهم يمثل الانحدار على جميع الأصعدة وأن المهدي المنتظر والدجال سيظهر فما الداعي للقلق على المستقبل.
[٨] فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء ١٢ - صفحة ٤٠٤.
[٩] حسب القواعد الحديثية لم يصح أي دليل من أدلة خروج المهدي في آخر الزمان ولا غيره.

جلساتهم العلمية بنصيب وافر ولا أذكر أنني جلست مع جهيمان في سفر أو حضر إلا ويُسأل عن تأويل حلم[1]، كما مارست الجماعة عملية دمج بين الأحلام وأحاديث الفتن وأشراط الساعة بحيث أصبحوا يستعينون في تطبيقها على الواقع ومجرياته عليها، وهكذا تواترت الأحلام من المنتسبين إلى الجماعة وتوطدت علاقتهم بأخبار الفتن وأشراط الساعة حتى أنك لا تجد مكتبة من مكتبات فرد من أفراد الجماعة إلا وتجد فيها كتاب "إتحاف الجماعة في الفتن وأشراط الساعة" للشيخ حمود التويجري، يقول جهيمان عن هذا الكتاب[2]:

... وننصح إخواننا بقراءة بعض الكتب المؤلفة لبعض العلماء منهم.... وكتاب إتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري وفقه الله (مع الحذر من الروايات الضعيفة فيه) وقد تكلم هو على بعضها وقد أجاد في الرد على بعض أصحاب العقليات الزائفة ممن ابتلي بهم المسلمون. فاحرص على الاستفادة منها، وللشيخ قدم راسخة في هذا الباب زاده الله توفيقاً.

وتواترت الأقوال أنّنا في آخر الزمان وتكثفت الرؤى حول ذلك وطبق جهيمان أحاديث الفتن على الواقع وسَمِعتُها منه مشافهة[3] في مجالس الجماعة قبل عام ١٣٩٨هـ بمدة، أي قبل أن يصبح جهيمان مطلوباً للعدالة؛ وحددت هذه النقطة حتى لا يظن أحد أنها وليدة الحصار الذي فرض عليه منذ عام ١٣٩٨هـ وحتى دخولهم الحرم عام ١٤٠٠هـ.

وكما قلنا طبّق جهيمان أحاديث الفتن على الواقع، فقال في "رسالة الفتن":

وأخرج أبو داود -كتاب الفتن- ٤٢٤٢ بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر من ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: "هي هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني و إنما أوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة".

وعلق جهيمان على هذا الحديث بقوله:

... أما قوله ﷺ في فتنة السراء أن دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيته فلا أراه إلا حسين الشريف الذي كان يحكم الحجاز قبل الملك عبد العزيز. فإنه كان من أهل بيت النبي ﷺ في النسب، وكان في عصره يُطاف بالقباب كما يُطاف بالكعبة، وينقلون عنه أنه كان يهتم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه فرّق الناس... وبذلك ترى أنه ينطبق عليه قول النبي ﷺ كما يظهر لي: "يزعم أنه مني وليس مني"، وقد علل عليه الصلاة والسلام ذلك فقال: "إنما أوليائي المتقون"، وأما الرجل الذي يصطلح الناس عليه فيظهر لي أنه الملك عبد العزيز، لأن جزيرة العرب قبله كانت مليئة بالحروب وقطع الطرق، فلا يستطيع أن يأمن بها مسلم ولا كافر، ثم حصل هذا الأمن للناس مسلمهم وكافرهم فتجد المسلم والنصراني والشيعي كلهم مختلطين آمن كل منهم من صاحبه، فينطبق عليه قول النبي ﷺ: "ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع"، ونحن الآن في فتنة الدهيماء التي لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة كلما قيل انقضت تمادت، وو اقعنا يشهد لذلك فترى أن أهل الباطل يخرجون علينا كل يوم بفتنة جديدة فيبسطونها في أول الأمر، ثم يتمادون فيها كمثل الإذاعة أول ما أنشئت كانت لا تبث إلا القرآن والأخبار ولا يُسمع فيها صوت امرأة، ثم تطور الأمر حتى أصبحت المرأة هي التي تذيع البرامج مع الرجال وتغني الأغاني الخليعة ثم أخرجوها سافرة على شاشة التلفزيون، وهكذا الصور وغيرها، وهكذا في سائر مخططاتهم لمن تدبر ذلك ممن رزقه الله البصيرة.

---

[1] من الأشياء التي يرى جهيمان أنه يتمتع بها أنه ذو فراسة في الناس وفي الأمور، وهي أهم شروط مفسر الأحلام. ومثل هذه القناعة هي التي جعلته يطرح قضية محمد عبد الله القحطاني على أنه المهدي المنتظر وتبناها بشكل شخصي ليقينه بفراسته و إيمانه بها.

[2] رسائل جهيمان، رسالة الفتن وأخبار المهدي - صفحة ٢٠٩.

[3] قبل أن يدونها في "رسالة الفتن وأخبار المهدي ونزول عيسى وأشراط الساعة".

وقال في الرسالة نفسها عند حديث عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ: "... فقال أعدد ستاً بين يدي الساعة... ثم فتنة لا تدع بيتاً من العرب إلا دخلته..."، ورجح جهيمان أن هذه الفتنة هي الصور الموجودة على النقود فقال:

> **... وأما الفتنة التي لا تدع بيتاً من العرب إلا دخلته فقد وردت مجملة في هذا الحديث، وإذا تأملت و اقعك اليوم رأيت أنه لم يبق بيت من بيوت العرب إلا دخلته الفتنة في الدين، ومن ذلك فتنة الصور الموجودة في النقد وغيره. فما تجد بيتاً من العرب إلا دخلته...**

مثل هذه المقدمات هي التي يتكئ عليها مبرر خروج المهدي المنتظر عند الجماعات الإسلامية الخلاصية وخصوصاً السلفية منها، وإن صمت بعضهم عنها لبعض الوقت، إلا أنها حاضرة في وجدانهم وضميرهم الثقافي وإن أُجّلت لساعات الحاجة، كما أجلت قضية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله فترة من الزمن وظهرت على السطح عند أول فرصة، وتمثلت في صورة عمليات إرهابية ليس لها أي هدف أو مبرر منطقي سوى المطالبة بالنموذج "الطالباني" في حكم الدولة، وهو أمر لا يقبله لا العرف الديني ولا العرف السياسي ولا العرف الاجتماعي.

كانت هذه الأطروحات حاضرة في مجالس الجماعة دائماً، وكنت أسمعها من أكثر من واحد منهم حتى أن بعضهم كان يتحرج من حمل النقود بسبب وجود الصور عليها، فكان أغلبهم يضعونها في درج السيارة هي والأوراق الثبوتية المحتوية على الصور الشخصية. واستخرج بعضهم تابعية معفاة من الصورة بوساطة بعض العلماء، وعمل آخرون على أن تكون نقودهم عملات معدنية، وقد ركبت مع أحدهم في أحد الأيام وإذا به قد وضع في المرتبة الخلفية كيساً من الخيش حمولة خمسة وعشرون كيلو، وإذا به قد ملأه نقوداً معدنية من فئة الريال وكان يتعامل به في مشترياته، وأخبرني أنه يوجد عنده في البيت ثلاثة أكياس أخرى مثل هذا، وبعضهم طمس الصور الموجودة على العملة بالحبر، كل ذلك لكي يهربوا من الفتنة التي لم تدع بيتاً إلا دخلته. أما المجلات والجرائد فلم يدخلوها بيوتهم البتة، بل إن بعضهم يقطع قصاصات الجرائد الملقاة على الأرض، كما هرب بعضهم من سكنى المدن ونصبوا خياماً لهم في الصحراء قريباً من المدينة المنورة لكي يتاح لهم الوقت لدخولها بسرعة، لاعتقادهم فيما لو جاء المسيح الدجال فهو لا يدخل المدينة لأن الملائكة تحرسها، كما أنه كثيراً ما ينهي جهيمان فقراته بقوله: "لم يبق إلا الدجال"، وهكذا كانوا يحضرون أنفسهم لوقوع أشراط الساعة، هذا تم في وقت مبكر وكما قلنا قبل عام ١٣٩٨هـ وكانت الأحلام تسندهم في ذلك ولا يوجد يوم إلا ونسمع حلم حول الخلاص المنتظر، فمثل هذا الهوس الجمعي لابد وإن يبلغ مداه بنفس الأدوات المعرفية فطرحت قضية المهدي المنتظر وأنه محمد عبد الله القحطاني وهو شاب جاء أسلافه مع حملة محمد علي باشا من مصر[1] واستوطن أحد جدوده في جيزان. قال لي سعد عبد الله القحطاني أخو محمد عبد الله حين سألته كيف يكون محمد هو المهدي المنتظر وهم من قحطان؟ فقال لي أنهم ليسوا من قحطان نسباً وإنما مجاورة، وأن جدهم الأكبر من أشراف مصر جاء مع حملة محمد علي واستوطن جيزان[2]. وهكذا أثبتوا له نسباً للأشراف ووافق اسمه اسم النبي واسم أبيه عبد الله ورأوا له الأحلام التي تعزز دعواه الخطيرة، وأصبح ذلك هو حديث مجالس الجماعة وأصبحت الأحلام تتواتر حول ذلك تصريحاً وتلميحاً، وتولى جهيمان ذلك وحاول إقناع مجموعة بذلك ودار بين الجماعة كلام مؤدّاه أن محمد عبد الله غير مقتنع أنه هو الذي ورد فيه النص واعتزل مجالس الجماعة، ثم وبعد مديدة اقتنع أنه هو المهدي المنتظر الذي ورد فيه النص، وسألت محمد عبد الله عن ذلك فقال لي أنه رأى رؤيا حق تثبت أنه المهدي المنتظر وقد انشرح صدره لذلك في ليلة بعد أن استخار أكثر من مرة وهو مصداق حديث الرسول: "يصلحه الله في ليلة". أما أنا ومجموعة فلم تقتنع بذلك خصوصاً أنني سمعت أن شيخي علي المزروعي لم يكن مقتنعاً واستمرت علاقتي بالجماعة كما هي، إلا أن جهيمان لم يعد يطلب لقائي كما كان يفعل سابقاً.. خصوصاً حال التنسيق في توزيع المنشورات أو توجيه الجماعة في الرياض، ودخلت الجماعة مرحلة جمع السلاح وتناصحوا فيما بينهم على جمعه وتخزينه وسمعت أن بعضهم باع مزرعته لكي يشتري بثمنها السلاح مثل سعيد بن عبد الله الأخ الأكبر لمحمد بن عبد الله.. في هذه المرحلة دخلني الرعب والخوف فانقطعت عن الجماعة وعن حضور مجالسهم، فالمسألة بالنسبة لي قد تجاوزت حدها جداً، وانتهت إلى دخول الجماعة إلى الحرم واعتصامهم به لمدة خمسة عشر يوماً.. وكان المحرك لهم الحلم الذي لم يفارقهم حتى وهم محتجزين في خلوات الحرم. يقول لي فيصل محمد فيصل ونحن داخل السجن وفي غرفة واحدة وكان معهم حتى آخر يوم، أن بعض الإخوان رأوا أنه خسف بالجيش الذي جاء لمحاربتهم هل سمعت عن ذلك؟ فذكرت له أنه لم يحدث أي شيء من هذه الأشياء، فقال لي أننا سمعنا عن أشياء كثيرة ونحن في الخلوات ولا أدري ما مصدرها.

---

[1] كان أهل جيزان يطلقون عليهم بيت التركي لأنهم جاؤوا مع الأتراك.

[2] من المعروف أنّ الأتراك يصطحبون معهم في حملاتهم العسكرية الأشراف كفأل حسن للحملة الغازية.

لقد شكّل الحلم عند هذه الجماعة المحرك الأساس لحركتهم، وأنا أعتقد أنه سيبقى المحرك لحركات أخرى خلاصية، فإذا كان قد فُعل عند "الجماعة السلفية المحتسبة" فهو بلا شك مؤجل عند جماعات خلاصية أخرى من الممكن استعماله وقت الحاجة إليه.

الملحق رقم ٢ - خطبة الحرم

إلقاء: خالد اليامي - توجهات: جهيمان العتيبي

نشر في جريدة الرياض العدد ٤٣٩٨ بتاريخ ١٧ محرم ١٤٠٠هـ

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون إليكم الآن بيان أحاديث النبي ﷺ الصحيحة التي جاءت في المهدي وخروجه، ليكون المسلم على بينة ولا ينخع بيان. هذه الأحاديث تنطبق على رجل عُرف أنه المهدي.

الحديث **الأول**: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث منه رجل من أهل بيتي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً مُلئت جَوراً وظلماً"، رواه أبو داود وهو حديث صحيح.

الحديث **الثاني**: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المهدي عني، أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين"، رواه أحمد وأبو داود.

الحديث **الثالث**: عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب".

[يسكت المتحدث ويبدأ رجل آخر بإعطاء تعليمات عسكرية يعتقد أنه المدعو جهيمان العتيبي، فيقول بلهجة شعبية بسيطة]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين..

يا إخواننا انتبهوا -لتسكين الأمر-.

يا أحمد اللهيبي، اطلع السطوح ومن رأيته يتمرد على البيبان فأطلق عليه النار.

يا سلطان بن جار الله، إلى الجهة الشرقية فمن رأيته يتمرد أنت وبعض الإخوان فأطلقوا عليه النار لا يسوّي عليكم فوضى أو يتهدد الإخوان.

يا رِدَن، الجهة الغربية.. الجهة الغربية.

يا عبد الله الحربي[1]، الجهة الشمالية.. الجهة الشمالية..

اسمع يا راكان، اطلع فوق مع اللهيبي، الجهة الجنوبية.. لها.

محمد بن مبارك الكبير اللي كان في المدينة، إلى الجهة الشمالية.. الجنوبية.

بقية الإخوان شاهد وعمر بن جار الله[2] وسلطان بن جار الله وأبو هلال، يبقون بين الركن والمقام مع كثير من الإخوان يمسكون محلاتهم.

البيعة بعد البيان وبعدما يهدون الناس..

ليظهر للناس الحق، فمن كان يريد الحق فليأت به ومن اعتدى علينا فرب العالمين خير من [...] فاسمعوا وانتبهوا..

[ويعود المتحدث إلى إلقاء الخطبة محاولاً إقناع الناس بدعوته للمهدي المزعوم]

---

[1] عبد الله الحربي لم يدخل الحرم مع من دخل، وقد قتل خارج الحرم وبعيداً عنه. ويبدو أن جهيمان لا علم له بمن دخل من الإخوان ومن لم يدخل بسبب تخفيه وهربه وعزلته الطويلة عنهم.

[2] عمر بن جارالله لم يدخل الحرم لأنه في السجن بسبب توزيع منشورات.

نكمل لكم ما بدأنا به من أحاديث عن نبينا ﷺ في بيان المهدي لتكونوا على بصيرة من أمر دينكم ثم يأتي عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأله عن هلكة العرب، ثم يأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه"، رواه أحمد.

الحديث **الرابع**: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها..

[ويسمع صوت طلق ناري]

ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانية -يعني حجة-"، رواه الحاكم وهو حديث صحيح.

الحديث **الخامس**: عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "المهدي من عترتي من ولد فاطمة"، رواه أبو داود.

الحديث **السادس**: قال النبي ﷺ: "المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة"، أخرجه أحمد وابن ماجه.

الحديث **السابع**: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "العجب أن أناساً من أمتي يؤمون هذا البيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم"، رواه البخاري ومسلم.

فمن ذلك يتبيّن لنا:

أولاً: أنّ اسم المهدي محمد بن عبد الله.

ثانياً: أن نسبه من قريش من أهل بيت النبي ﷺ من ولد فاطمة رضي الله عنها.

ثالثاً: أنه يصلحه الله في ليلة.

رابعاً: أنه أجلى الجبهة أقنى الأنف.

خامساً: أنه يظهر إذا ملئت الأرض ظلماً وجوراً فيملأها قسطاً وعدلاً.

سادساً: أنه يبايع بين الركن والمقام ومعنى هذا أيضاً أنه لا يطلب البيعة وإنما يبايع من قبل غيره.

سابعاً: أنه يلجأ إلى البيت.

ثامناً: أنه معه طائفة يلوذون بالبيت لمطاردة الناس لهم في كل مكان.

تاسعاً: أنه يغزوه جيش وهو لاجئ بالكعبة فيخسف الله بهذا الجيش.

عاشراً: أن هذا الجيش من أمة محمد ﷺ لا من اليهود ولا من النصارى وإنما من المسلمين.

وإليكم حديث الطائفة الذين معه، روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "سيلوذ بهذا البيت -يعني الكعبة- قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم".

فيتبيّن لنا من هذا الحديث أن هؤلاء القوم يعودون، ومن الحديث المتقدم سابقاً أنه رجل من قريش يلجأ بالبيت، وحينما يعوذون فإنما هو من مطاردة الناس لهم، فاجتمعوا هم وإياه بهذه الصفة وكذلك في صفة أخرى وهي أنه يخسف بالجيش الذي يغزوه ويغزوهم.. إذا تبين هذا فاعلموا:

أيها المسلمون إنها قد انطبقت هذه الصفات كلها..

هذا المهدي الذي سوف يبايع بعد لحظات بين الركن والمقام وهو موجود معنا الآن، وكذلك أخوكم جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي.

وهو موجود أيضاً معنا الآن وقد كان الإخوان قبل في المدينة يدرسون وينصحون الناس [...] فصرنا نطبع الرسائل والكتب ونوزعها على الناس لنبين للناس دينهم. فأخرجنا:

رسالة "رفع الالتباس".

وبعدها ثلاث رسائل..

وبعدها سبع رسائل.

وبعدها رسالة "الإمارة والتوحيد".

و"دعوة الإخوان".

و"الميزان في حياة الإنسان".

وأما هذا الرجل الذي هو المهدي فقد صار من الإخوان منذ أكثر من سنتين [...] فلجأنا هذا اليوم إلى بيت الله عز وجل ولم نجد لنا ملجأ في الأرض إلا هذا البيت العتيق لأننا نعلم أن الله يدافع عنه كما رد عنه الفيل وأصحابه وقد كان الذين فيه مشركين فكيف ونحن ليس لنا ذنب عند الناس لا إننا ندعوهم إلى الرجوع إلى القرآن والحديث والعمل بهما ولو خالف الحكومة ولو خالف المشايخ أهل المراتب والمناصب.

وإن الذي سنبايعه اليوم اسمه محمد بن عبد الله وهو من قريش وأبوه من الأشراف وأمه من نسل الحسين بن علي ولد فاطمة رضي الله عنهما وجميع الصفات المذكورة في الأحاديث منطبقة عليه ولله الحمد ومن أراد التثبت من أي شيء من هذا فالمجال مفتوح ونحن إخوانكم لا نبخل عليكم إلا أن نقول: ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

ونبشّركم أيضاً، يا معشر المسلمين أنه قد رؤيَ في المنام المرائي الكثيرة التي لا تُحصر في خروج المهدي وفي بيان أنه هذا الرجل وكذلك من أناس لا يعرفونه من قبل، فلما رأوه عرفوه من رؤياهم إياه في المنام.

ولعله قد بلغتكم بعضها وقد قال النبي ﷺ: "في آخر الزمان لا تكاد رؤيتكم أن تكذب"، رواه البخاري؛ وقال ﷺ أيضاً: "لم يبق من الوحي إلا المبشرات: الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له"، رواه البخاري ومسلم.

[ويعود صوت من يعتقد أنه المدعو جهيمان العتيبي ليعطي التعليمات العسكرية لعصابته]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[نداء]

عيد بن إسماعيل، رديني..

اسمعوا، عيد بن إسماعيل ورديني، تذهبون مع أحمد الثاني وتأخذوا بعض الإخوان اللي ما معهم أسلحة وتعطوهم وتوزعون عليهم الرشاشات وأسلحة لبعض الإخوان الذين دخلوا بدون أسلحة اجتمعوا بين الركن والمقام..

اذهب يا عيد إلى الركن والمقام.

اذهب يا رديني إلى الركن والمقام.

اذهب يا أحمد الثاني إلى الركن والمقام.

اجتمعوا في هذا الموقع، سيظهر واحد من الإخوان تعرفونه، خلوا مبايعة بعض من الناس، نحن نعرف، نعرف الذين دخلوا ونعرف إخواننا الذين يطاردون، ورب العالمين يقول: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[2]، فإذا فهمنا هذا الشيء الذ هو من مهمتكم هذه ثم بعد ذلك..

[إطلاق رصاص]

---

[1] سورة الجمعة: الآية ٤.

[2] سورة النساء: الآية ٧٥.

فهيد بن ردن، فهيد بن ردن.. اسمع! بارك الله فيك، واسمع يا بو هلال، يا بو هلال.. إلى الركن والمقام..

يا سيف، إلى الركن والمقام.

يا مالك، إلى الركن والمقام..

اذهبوا يا أيها..

[محاولة إجلاس وإسكات الناس بالقوة]

وأنتم يا جميع الإخوان، اجلسوا.. اجلسوا.. اجلسوا.. وليكن جميع الإخوان بين الركن والمقام، عفاج بن جار الله، عفاج بن جار الله..

انتبهوا في توزيع الإخوان بين الركن والمقام، حتى يتهيأ أمر البيعة تتأخر بعد البيان، ليكونوا على بيّنة وعلى ما نبايع، الدعوى ما فيها (هزة روس)؛ المسألة فيها ضرب رشاشات!

المسألة فيها ما تحتاج للمسلمين، الذي يصدق مع الله فالله يرجي لهم أن يكونوا مع الذين يقاتلون عيسى بن مريم في صحيفته ولكن لا تخافوا من هؤلاء خافوا من سيئاتكم، كذلك خذوا العفو وعليكم بالرفق، ومن تمرد عليكم فكما قال الله جل وعلا: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[1]، وقال الله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[2].

أما جنود الحكومة فإذا رأيتم أحداً منهم، يريد أن يرفع يده، فلا عليكم منهم، فعليكم أن تطلقوا عليه لأن هذا يريد أن يطلق النار بين المسلمين فإذا.. ولكن ما في إطلاق نار الآن حتى يؤذن لكم، إن كان قبل البيعة فما هي إلا (نصب) كما أخذها خالد بن الوليد (غصب).

فأما بعد البيعة فيتولاها المهدي ولكن الآن المهدي ما هو جالس ينتظر (نقبل يديه)؛ هو يطالب مع الإخوان واحد من المطرودين.. فإذا هدأوا الإخوان هدأوا الإخوان.

[تمر لحظات يتوقف جهيمان عن متابعة إعطاء تعليماته ثم يعاود]

وكذلك الإخوان كل جهة منهم الجهة الشرقية واللي فيها والجهة الغربية واللي فيها والجهة الجنوبية واللي فيها؛ كل جهة يتجمعون لا يصيرون أفراداً.. كل واحد منهم لحالهم يجتمعون كل الجماعة؛ يجتمعون كل جهة يجتمع بها جماعة كما ذكرنا في السابق.

[ويعود خطيب الزمرة الفاسدة في إلقاء خطبته]

أيها المسلمون، نبشركم في هذا اليوم المبارك بخروج الرجل الصالح المهدي الذي سوف يملأ أرض الله عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً سوف تنتهي.

[أصوات تهليل وتكبير.. ويعود المجرم جهيمان إلى إعطاء تعليماته مرة أخرى]

يا عبد الله بن إسماعيل بن مبيريك، اطلع السطوح.. اطلع السطوح أنت والجماعة معك ومعكم درابيل ورشاشات عند المناير.. اطلعوا، البيعة ستتأخر قليلاً، اطلعوا..

[يكرر النداء]

يدلونكم الإخوان إلى أقرب طريق تطلعون فوق..

[أصوات وضجيج..]

---

[1] سورة الشورى: الآية ٤٠.

[2] سورة البقرة: الآية ١٩٤.

يا محمد بن مبارك، يا محمد بن مبارك الذي كان في المدينة لماذا الجهة الجنوبية؛ خذ سليمان واذهب إليها، فيها باب يحتاج تسكيره محمد بن مبارك الكبير.

[ويعود خطيب العصابة مرة أخرى]

الحمد لله، إليكم أيها المسلمون بيان الموقف الحق. أنصتوا رحمكم الله حتى تستفيدوا. ثم سوف تخرجون إن شاء الله. سوف يفتح لكم باب وتخرجون. الأبواب مغلقة.. الأبواب مغلقة.. لا أحد يخرج.. الأبواب مغلقة، لا أحد سيخرج أنصتوا رحمكم الله. الحمد لله الذي وعد فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1]، فهجرتهم كانت بعد الفتنة، ولو داهنوا لاطمأنوا مع أهل القرية الآمنين وما أشبه حالنا بهم.. ثم بيّن الله بالآية الآتية ما سيبدلهم به فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ... وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[2]، فالأمن بدلاً من الخوف والتمكين بدلاً من عدم الانتصار ولو أنهم خافوا وقالوا كما قال أهل مكة: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾[3]، لأصحابهم ما خافوا منه ولذلك أهل مكة وقعوا فيما خافوا منه على عهد رسول الله ﷺ والصلاة والسلام على رسولنا الذي أعلمه ربه بما بعثه فلم يثن ذلك من عزمه وقال الله له في الحديث القدسي: "إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك"، رواه مسلم. ففي البداية ابتلاه بأهل مكة فعادوه هو وأصحابه وأخرجوهم من ديارهم، وفي آخر الأمر ابتلى الله به أهل مكة لتطهير طواغيتهم ولابد لمن سلك مسلكهم أن يصيبهم ما أصابهم. الابتلاء في بداية الأمر ثم النصر في النهاية والتمكين والآن تبدأ ببيان أشياء وعد النبي بها ﷺ أمته وهي كثيرة منها كثرة الخبث في الأرض ونتيجته الهلاك للصالح والطالح.

وإنهم يستحلون القتال في البيت.

[صوت إطلاق رصاص]

وهو سبب لهلكة العرب، وكذلك جعل الله لكل داء دواء وقد أخبر أن الأرض تملأ جوراً وظلماً ثم يجعل الله في تطهيرها سبباً، وهو رجل صالح قد ذكر صفاته وحاله وصفة أعدائه وصفة مناصريه..

فالآن نذكر لكم أحاديث تبين لك ما مضى ذكره، واعلم أننا لا نذكر إلا ما ثبت من النبي ﷺ ثم بعد ذلك نبين لك صفة هذا الرجل وصفة أعدائه ومن معه من ملأ.. ثم نذكر لك الأدلة بعدها ليسهل عليك فهمها وحفظها.

وإليك **أول الأحاديث**: روى البخاري وغيره من حديث زينب رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ محمر وجهه وهو يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من قلب يأجوج ومأجوج مثل هذه"، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كَثُر الخبث".

انتبه يا أخي، فإن هناك فرق بين الصالح والمصلح فإن الصالح هو الذي صالحٌ في نفسه فقط وأما المصلح فهو الصالح في نفسه والمصلح لغيره.. فالمصلح لا يُهلك من أهلك الناس ولا يحصل للناس هلكة حتى يتميز عنهم.

ولا يحصل لهم نصر حتى يتميز عنهم.. والأدلة من الكتاب والسنة كثيرة ومنها:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[4].

فما قال وأهلها الصالحون وإنما قال وأهلها مصلحون.

---

[1] سورة النحل: الآيات ١١٠-١١٢.
[2] سورة النور: الآية ٥٥.
[3] سورة القصص: الآية ٥٧.
[4] سورة هود: الآية ١١٧.

وفي النصر قال: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[1].

الحديث الثاني: أخرجه أحمد وهو صحيح، عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب ثم يأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر أبداً وهم **[صوت إطلاق رصاص كثيف]** الذين يستخرجون كنزه".

فالشاهد في هذا الحديث الاستحلال، ويظهر أن سببه البيعة وهو يعرف من حال علماء الحكام الذين يبايعون من تولاهم ويقاتلون من خالفهم ويرون أنه خارجي ويستدلون في الحديث "إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما".

والخليفة الشرعي هو من اجتمع فيه شرطان، أن يكون قرشياً وأن يكون مقيماً لدين الله جل وعلا، وهذا قد سجل في "رسالة الإمارة".

الحديث الثالث: أخرجه أبو داود وهو صحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً"..

الحديث الرابع: روى أحمد وأبو داود عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "المهدي مني، أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين"، وهو حديث حسن.

فالآن نبين لك حاله من البداية ثم نبين حال أعدائه وصفاتهم وحال الطائفة التي معه لتكون على بينة.

فحاله لابد فيه من عدة شروط:

أولاً: أن يكون اسمه محمد بن عبد الله ويكون أقنى الأنف أجلى الجبهة.

ثانياً: أن يكون قرشياً من أهل بيت رسول الله ﷺ.

ثالثاً: أن يلوذ بالبيت.

رابعاً: أن يكون أعداؤه من أمة محمد ﷺ.

خامساً: أن يكون مهلكهم في البيداء في القفر.

سادساً: أن تكون الطائفة التي معه، أن يكون لها صفتان تكون هاتان الصفتان متوفرتين في هذا الرجل ولولا هاتان الصفتان لادّعت كل طائفة هذا الشيء ولاذت بالبيت وجاءت من السوق بقرشي له مثل هذا الاسم.

أولاً: أن يلوذوا البيت ولا يكون اللواذ إلا خوفاً من شيء هو عدم القدرة في دفنه.

ثانياً: أن يخسف بعدوهم في موضع واحد وهو البيداء، وتكون صفة عدو الرجل والطائفة واحدة.

وهذا يفهم من الحديثين الآتيين:

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت [...] رسول الله ﷺ في المنام، فقلنا يا رسول الله لقد صنعت في منامك شيئاً لم تكن تفعله، فقال: "العجب أن أناساً من أمتي يأمون هذا البيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا في البيداء خسف بهم"، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد تجمع الناس، فقال: "نعم، فيهم المستصغر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً ويذكرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم".

الحديث الثاني: أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "سيلوذ في البيت -يعني الكعبة- قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم".

---

[1] سورة الصف: الآية ١٤.

فاجتمعت هاتان الصفتان في هذين الحديثين، ويظهر أن سبب الغزو هو البيعة والتجمع لأنه لو كانوا بعدا وكانوا غير مجتمعين لم يحتاجوا أن يرسل جيش، والشاهد من الحديث المتقدم ذكره أنه يبايع الرجل بين الركن والمقام ولم يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب. ويفهم من هذا أنه لا يطلب البيعة وإنما يبايعه القوم من غير طلب منه له.

وإليك صفة ما يقع لهذا الجيش وكيف يعدّكم لتأخذوا الخبر من الشرير..

قال مسلم في حديث حفصة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليؤمنّ هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض تخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا ينطق الشرير الذي يخبر عنه".

ثم بعد ذلك، فاعلم أن الوحي قد انقطع ولم يبق إلا المبشرات وهي الرؤيا.

قال الرسول ﷺ: "تكاد رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكذب" رواه البخاري ومسلم.. وأقر صوادق الرؤيا إذا وافق السنة كما ورد في حديث ليلة القدر.

وقال رسول الله ﷺ: "أرى رؤياكم قد تواطأت".

فأقول بعد ذكر الأدلة المتقدمة وانطباقها على الإخوان الموجودين اليوم وعلى رجل منهم فقد وردت قرائن المسلمين في هذا الرجل على ثلاثة أحوال:

القسم الأول: جاء في مرائي أناس لا يعرفونه فعرض عليهم في المنام أن هذا هو المهدي فقابلوه في اليقظة وعرفوه بعلامات ظاهرة فيه.

القسم الثاني: رأوا أنّ المهدي سيخرج قريباً.

والقسم الثالث: رأوا تاريخ بيعته ورأوه يبايع له بين الركن والمقام وغالبهم لا يعرف هذا الرجل، وقد بلغت أكثر من العشرين بل أكثر من الخمسين رؤيا إلى هذا اليوم ويقوم بجمعها من أصحاب الرؤيا ثلاثة من الإخوان ومن أراد التبيّن من ذلك فليسأل فهو (مراس بن ملعاط الغامدي) و(يوسف أكبر آل رضا) و....

[صوت لغط وضجيج شديدين ومحاولة المجرمين تهدئة المصلين وإسكاتهم]

[بعد ذلك يأتي صوت -غير واضح تماماً- يفهم منه أنه صوت المدعو جهيمان العتيبي زعيم العصابة، وهو ينادي في الناس لمبايعة (مهديهم المزعوم).. من حوله أصوات تكبير وتهليل من زمرته يتخلل ذلك أصوات إطلاق رصاص متواصلة وشديدة.. إلى أن ينقطع التسجيل..]

الملحق رقم ٣ - لقاء مجلة "المجلة الالكترونية": خطيئة جهيمان

ناصر الحزيمي: هذه قصتي مع المهدي المنتظر

أجرى الحوار: خالد المشوح، ونشر يوم السبت الموافق ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٩م

الكاتب والباحث ناصر الحزيمي واحد ممن عاصروا جهيمان العتيبي، بل واقترب منه داخل جماعته لدرجة جعلته يقف على أدق تفاصيل شخصيته وتفكيره. وشاهِد عن كثب مراحل تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة.

ويعرف أسرار ما كان يجري في اجتماعاتها السرية وكيف صعد جهيمان إلى قيادتها، لذلك فإن ما يقوله الحزيمي قد لا يعرفه الكثيرون حول بداية الجماعة وتأسيسها والفكر الخلاصي عند جهيمان وبعده عن الجماعات الأخرى مثل الإخوان المسلمين والتبليغ، وعلاقته بالشيخين ابن باز والألباني، وتحوله من العمل الأمني إلى السري، وكيف بدأت فكرة اقتحام الحرم.

المجلة: كيف ترى الوضع الاجتماعي الذي ظهر فيه جهيمان خاصة أنّ هناك من يرى تأثيراً للبعد الاقتصادي على ظهوره؟

هذه الفرضية لم تعززها الدراسات الاجتماعية لكن حسب ما نلاحظ أن جهيمان العتيبي نشأ في منطقة تعتبر بادية متحضرة، وهي "ساجر" التي كانت إحدى هجر الإخوان التي تأسست في عهد الملك عبد العزيز لتوطين البادية، وبالتالي تعليم الأمور الدينية في البادية المتوطنة في ساجر كان يغلب عليها، فهي التي حاربت فيما بعد الملك عبد العزيز في "السبلة"، ونشأ جهيمان في هذه المنطقة وهي من المناطق التي تعتبر نفسها متضررة من هذا الوضع، وجهيمان نشأ في هذه المنطقة التي تعد بادية متحضرة "نوعاً ما" لأن التحضر لم يكن فيها كاملاً، وقد هاجر إلى ساجر من البادية والد جهيمان محمد بن سيف، وعليه فجهيمان يمثل الجيل الأول من أبناء هؤلاء الذين استوطنوا هذه الحاضرة. يعني لم يكن هناك انفصال في الولاء للقبيلة بل ما زالت القبيلة في داخل جهيمان وفي صميمه وكانت "ساجر" مجرد سكن، فلم ينس أنه ينتمي إلى البادية والرجل يكاد أن يكون كما هو بل تكاد تكون نشأته نشأة بادية أكثر منها نشأة حاضرة.

المجلة: البادية المتحضرة التي انتمى لها جهيمان في ساجر، هل كان لها ارتباط بالإخوان؟

أنا أدركت هذه البادية وعرّفني جهيمان في فترة معينة من السبعينات على كثير من الإخوان الذين شاركوا في عملية السبلة وكانوا كباراً في السن، وكانوا يحكون لنا في الجلسات حكايات الإخوان وحكايات الجهاد والكرامات التي رأوها في الجهاد كمرحلة ثانية من حكايات السلف من فتوحات الصحابة والغزوات وما شابه، كانت حاضرة في ثقافتهم وفي ذهنيتهم وكثير منهم يحفظ هذه الحكايات.

المجلة: هل كان لها تأثير في العقل الباطن؟

نعم، بكل تأكيد كان لها تأثير مباشر، حتى في مواقف جهيمان فيما بعد اتكأ على مواقف حصلت مع "الإخوان" قديماً، فعندما أصبح جهيمان شخصاً مطلوباً للأمن بعد سنة ١٣٩٨هـ أو قبلها كان يفسر هروبه وعدم تسليم نفسه بأنه يخاف أن يحصل له مثل ما حصل للإخوان القدماء أمثال سلطان بن بجاد وغيره.

المجلة: متى بدأ التفكير في تأسيس "الجماعة السلفية المحتسبة" التي أسسها؟

أسسها قبل سنة ١٩٦٥م، وكان متذبذباً بين جماعة التبليغ وجماعات تكاد تكون شبه بدوية من أواخر "الإخوان" القدماء، فبداياته كانت قبل سنة ١٩٦٥م؛ وبعدها اجتمع ستة أشخاص أبرزهم ناصر بن حسين، سليمان بن شتيوي، سعد التميمي، جهيمان العتيبي؛ واتفقوا على تأسيس الجماعة السلفية وكان اثنان منهم ينتميان تقريباً لجماعة التبليغ أحدهما كان سلفياً من تلاميذ الشيخ ناصر الدين الألباني وهو سليمان بن شتيوي والثاني هو جهيمان، وكان في تلك الفترة متذبذباً بين التبليغيين والسلفيين مع ملاحظة أن جماعة التبليغ لا تدعو إلى التوحيد؛ وإنما تقوم دعوتها على الزهد والأخلاق والموعظة الحسنة وعدم التصادم مع السلطة فاتفق هؤلاء الستة.

المجلة: أنت ذكرت منهم أربعة فقط.

لأن هناك اثنين لا أحفظ اسميهما، لكن الأرجح أن أحدهما توفي قبل أن أنضم للجماعة والثاني فُصل لأنه كان من "الإخوان المسلمين" وكان يريد أن ينحرف بمنهج دعوة الجماعة من السلفية إلى منهج جماعة الإخوان المسلمين. الخلاصة أن هذه المجموعة ذهبت إلى الشيخ عبد العزيز بن باز وكان وقتها في المدينة المنورة، والتقوا به وقالوا له نحن نريد أن نؤسس جماعة ونقوم بالدعوة وهذه الجماعة تهتم بمنهج السلف وتحارب البدع وتكون على الكتاب والسنة وتحكّم القرآن والسنة. فسألهم الشيخ عبد العزيز بن باز عن اسم هذه الجماعة؟ فقالوا إنها الجماعة السلفية. فقال لهم بما أنكم تدعون احتساباً لوجه الله إلى الله، سموها "الجماعة السلفية المحتسبة" فأصبح اسم الجماعة من هذا الوقت (الجماعة السلفية المحتسبة)، على أساس أنها تحتسب الأجر من الله وهكذا انطلقت الجماعة بصفتها العلنية الدعوية، وكان أول بيت للجماعة أجره الشيخ ابن باز في الحرة الشرقية، وكان بيتاً كبيراً يضم مكاناً (حوش) للمحاضرات والدروس، وغرفاً كثيرة. وكان الشيخ عبد العزيز بن باز وبعض مشايخ المدينة المنورة يحضرون هذه الدروس مثل الشيخ أبو بكر الجزائري. وهكذا صارت الجماعة محتسبة سلفية ولا تحتج إلا بالحديث الصحيح ولا تأخذ إلا بمنهج السلف وتدعو إلى التوحيد الصحيح وتحارب البدع وتحارب القبوريين وما شابه ذلك وكان للجماعة مجلس شورى يجتمع ويناقش أمور الجماعة ويراجع خط سيرها.

المجلة: وكيف كان تأثير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني على مسار الجماعة؟ هل كان له دور في اختيار المسار؟

السلفية التي طرحها الشيخ الألباني أصبحت ضمن نسيج مفهوم السلفية عند الجماعة، بمعنى أن تقوم على نبذ التمذهب والأخذ بالأحاديث الصحيحة وتنقية السنة الصحيحة من الأحاديث الضعيفة، وأصبح المقابل هو المعادل الموضوعي الذي كان يقوم على الأخذ بالعقيدة السلفية الصحيحة وطريقة السلف في فهم التوحيد، فأخذوا من علماء الدعوة السلفية خاصة كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب الشيخ ابن تيمية وكتب الشيخ ابن القيم وتلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جوانب التوحيد والعقيدة ونبذ التمذهب والأخذ بالأحاديث الصحيحة والسنة الصحيحة. هذه غالباً مأخوذة عن كتابات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وتلاميذه المحدثين، وعليه فمفهوم السلفية عندهم أصبح هذه التوليفة من مفهوم الفكرين.

المجلة: طالما أنّ الجماعة في البداية عملت في العلن، فمتى انتقلت إلى العمل السري وحشد الأتباع؟

الجماعة نشأت كجماعة علنية لأن تركيبة الجماعة تقوم على التذكير، وكان وقتها لا يوجد حظر أو منع لأي تيارات إسلامية طالما أنها لا تمس قضايا التوحيد المهمة ولا تمس الأمن الوطني، فكانت الجماعات بشكل عام موجودة وكان هناك خطباء معروف أنهم ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين وخطباء معروف أنهم ينتمون للجماعة السلفية، وكان العمل السري في نطاق محدود جداً مثل اجتماعات مجلس شورى الجماعة.

المجلة: هذه الاجتماعات السرية كيف تطورت في مرحلة حشد الأتباع، خاصة في نهاية السبعينات ووجود مجموعات كبيرة من الشباب من شتى أنحاء المملكة؟

الجماعة بدأت بأعداد معينة أغلبهم كانوا طلاباً في الجامعة الإسلامية وتلاميذ المعاهد العلمية، لكن الجماعة بدأت تتنامى وبعد أن كان لها بيت واحد في الحرة الشرقية صار لها بيت ثانٍ وهو بيت الإخوان في مكة المكرمة وكان يضم مجموعة من الإخوان وكانوا غالباً تلاميذ في معهد الحرم المكي، بعد ذلك تأسس بيت الإخوان في الرياض. وأذكر أن مبرر تأسيس البيوت كان أن الجماعة أصبح لها تمدد وهذا كان قبل سنة ١٣٩٨هـ، وتأسس بيت الإخوان الأول في الرياض في العجلية خلف شارع الخزان، ثم تأسس بيت ثانٍ في منفوحة عند مسجد الرويل، ثم ثالث في غبيراء، فأصبح للإخوان في الرياض ثلاثة بيوت، ثم أغلق أحدها وبقي بيت الإخوان الموجود قرب مسجد الرويل وبيت الإخوان الموجود في غبيراء، وفي جدة أصبح لهم بيت وفي الطائف بيت ومكة وغيرها من المناطق. فالجماعة تمددت وأصبح لها أنصار، منهم من يعتبرون أنفسهم أنهم ينتمون للجماعة السلفية ومنهم المحبون لهم خصوصاً أن الجماعة استقطبت "ناس كثير" من الجماعات من جماعة التبليغ وغيرها وأصبحوا مع الإخوان، يعني قبل سنة ١٣٩٨هـ.

المجلة: لكن متى بدأ انضمام مجموعات كثيرة من الجنوب للجماعة؟

حدث هذا بعد سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٩م) عقب واقعة الاعتقال الأول للجماعة بسبب تقرير كيدي زعم أن الجماعة لديها مستودعات سلاح ثم تأكدت الدولة أن هذا التقرير كان كيدياً وغير صادق.

المجلة: هل كان الانضمام لهذه الجماعة سهلاً لا يتطلب أي قيود؟

الجماعة لا يوجد فيها ما عند التنظيمات الأخرى، فلا يوجد فيها التنظيم العنقودي إنما يؤهلك في هذه الجماعة أن تكون عالِماً أو طالب علم ثم مواقفك في الطاعة للقائد وهو جهيمان في تلك الفترة، هذه غالباً هي مؤهلات الانضمام، لكن بعد أن أصبح جهيمان مطلوباً أمنياً أصبحت الجماعة متحفظة تجاه العناصر التي تنضم لها، فكان من الممكن أن ينضم لها واحد من الخارج لكن لا يمكن أن يطّلع على كثير من أسرار الجماعة، مثل المنشورات التي كانت تطبع في الكويت لم يكن كثير من أفراد الجماعة يعرفون كيف كانت تُطبع؟ وكيف كانت تروح وتجيء؟ وكيفية الاتصال بجهيمان؟ كثير منهم ما كان يعرف كيف كان يتم الاتصال بجهيمان، ومن هم حلقات الوصل بينهم وبين جهيمان وهكذا.

المجلة: ذكرت أربعة من المؤسسين كيف آلت وضعية الجماعة من بدايتها إلى زعامة جهيمان؟ وما الصفات التي كانت تميزه؟

الجماعة من بدايتها لم تكن تحت قيادة جهيمان، هذه المسألة مرت بمراحل، جهيمان كانت متفقاً مع هؤلاء الأربعة ومجلس شورى الجماعة مثل أحمد حسن المعلم والشيخ علي المزروعي على أمور معينة، وما حدث هو أنّ جهيمان كان بيده مفتاح الجماعة لأنه كان الرجل الذي كان يروح ويجيء ويعمل المخيمات ويحج بالجماعة وهو الرجل الذي يطلع ويأخذ سيارته الجمس ويروح يذكّر، هذه أعطت جهيمان سمعة بحيث أن الكل أصبح يسأل عن جهيمان.. إذا جاء المدينة يسألون عن جهيمان، يعني لا يوجد أحد منهم كان يسأل عن سليمان الشتيوي مثلاً أو يسأل عن سعد التميمي أو ناصر بن حسين لكن كانوا يسألون عن جهيمان، وبعد فترة أصبح جهيمان يستبد بالسلطة، بمعنى أنه أصبح يدخل في الجماعة في مآزق تؤدي نوعاً ما إلى التوبيخ أو الملاحظات على الدعاة.

المجلة: هل يمكن أن نقول أنّ جهيمان كانت لديه نزعة قيادية من البداية لزعامة هذه الجماعة؟

نعم، طبعاً يكاد يكون جهيمان القائد وإن لم يسمّ نفسه بذلك لكن ثقله داخل الجماعة أصبح مطلقاً والسبب أن جهيمان كان يتحلى بروح المبادرة ويستطيع أن يذهب ويروح، فكان وقته كله للجماعة بعكس الثلاثة الباقين مثل الذين ذكرتهم من المؤسسين فهؤلاء كانوا يعملون في التدريس وأوقات الدعوة عندهم كانت محدودة. فوقتها لم يكن يوم الخميس عطلة وإنما كانت الجمعة فقط أو كانت في العطل الصيفية، فهنا يبرز الفرق ما بين رجل مفرّغ نفسه للدعوة السنة كلها وما بين مجموعة مشغولة بوظائفها.

المجلة: أول صِدام حصل ما بين الجماعة السلفية المحتسبة والجهات الأمنية عام ١٣٩٨هـ. ما طبيعة هذا الصدام؟ وكيف حدث؟

حقيقةً لم يكن هناك صِدام، وإنما كانت مجموعة اعتقالات شملت رموز الجماعة في جميع أنحاء المملكة وبعدها هرب جهيمان.

المجلة: ولماذا الاعتقالات؟

بسبب تقرير كيدي وصاحبه الذي كتبه حتى -كما سمعنا في وقتها- تم توبيخه لأنه ذكر أن هذه الجماعة عندها مستودعات سلاح.

المجلة: دعنا ننتقل إلى الفكرة الرئيسية التي اعتمد عليها جهيمان في حركته وهي قضية الاستيلاء على الحرم المكي. مَن مصدر هذه الفكرة في البداية؟

قضية دخول الحرم ...

المجلة: هل نستطيع أن نقول إن الجماعة المسيطر عليها والمحرك لها والدافع لها بالدرجة الأولى هو فكرة خلاص غيبية؟

هذا هو تشخيص دقيق، وهذا الكلام هو الصحيح فهذه الجماعة أصلاً لم تكن تملك مشروع دولة إسلامية كما هو موجود عند جماعات الإخوان المسلمين أو حزب التحرير، هذه الجماعة لم يكن في داخلها إلا قضية المهدي وعقيدتها أن خلاص الأمة يكون من خلال المهدي لا من خلال إقامة دولة ولا غيره.

المجلة: رغم أنك كنت مع الجماعة السلفية المحتسبة لكنك لم تكن ضمن الذين دخلوا الحرم المكي؟

قبل حادثة دخول الحرم ومبايعة المهدي بنحو ٦ أشهر انشقت الجماعة على نفسها مجموعة لم تقتنع بأن محمد عبد الله القحطاني هو المهدي ولم يقتنعوا أيضاً بحمل السلاح داخل الحرم وكنت أنا من ضمن هذه المجموعة التي لم تقتنع بدخول الحرم.

المجلة: معنى ذلك أن الفكرة كانت موجودة وقبل ٦ أشهر، يعني تداول الفكرة كانت في فترة مبكرة؟

تداول فكرة محمد عبد الله القحطاني قبل اقتحام الحرم بنحو سنة وطرحت على أساس أنه هناك من يرى أن محمد عبد الله القحطاني هو المهدي المنتظر وبما أن محمد عبد الله القحطاني اسمه محمد عبد الله فهو تنطبق عليه الصفات التي جاءت في النصوص الشرعية أنه يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي أقنى الأنف أجلى الجبهة من أهل بيته وعليه قيل أنّ محمد عبد الله القحطاني هو المهدي وهكذا استمر الحال، وقبل ٦ شهور من دخولهم للحرم حصل انشقاق ووقتها أعلنّا أننا غير مقتنعين بقضية المهدي وحمل السلاح في الحرم.

المجلة: ذكرت في بداية حديثك أنه كان هناك شخص من الإخوان وانسحب من تأسيس هذه الجماعة، ما علاقة الجماعة السلفية بالحركات الإسلامية الأخرى؟

حاول جهيمان في رسالته "رفع الالتباس" أن يشخّص موقفه من هذه الجماعات، وحقيقةً حينما تقرأ هذا الموقف نجد أنه لا يخلو من السذاجة، فهو يعترض على جماعة الإخوان المسلمين بسبب اهتمامهم بالسياسة ويأخذ على جماعة التبليغ بسبب عدم اهتمامهم بالتوحيد، وهكذا فرؤيته للجماعات الأخرى فهم يعيبون الإخوان المسلمين السرية، والحقيقة أنّ السرية الموجودة عند الإخوان المسلمين تكاد تكون هي نفسها الموجودة عند الجماعة السلفية.

المجلة: من وجهة نظركم الآن بعد هذا التحليل، هل كانت شخصية جهيمان ثورية أم كانت شخصية طوباوية متعلقة بالغيبيات أم كانت الاثنتين معاً؟

جهيمان يكاد يكون عنده الصفتان، الشخصية الثائرة والشخصية الطوباوية، جهيمان كان يتصرف في كثير من سلوكه برؤية ثأرية خصوصاً ما حدث للإخوان في السُبلة. وعلى فكرة، جهيمان كثيراً ما ردد وقال بأن الإخوان الذين كانوا في السبلة ظُلموا وقتلوا واعتبرهم شهداء. هذه رؤيته وكثيراً ما كان يرددها، فأتوقع أن جهيمان كان عنده الحس الثوري الثأري مبكراً ولكن كان يحتاج إلى مبرر شرعي لكي تقبل من الجماعة هذا الثأر.

المجلة: لكن كيف كان موقف جهيمان من المجتمع الذي يعيش فيه موقفه من الدولة هل كان مكفّراً؟ أم كان عائشاً؟ أم منعزلاً؟

جهيمان طبعاً لم يكن متصالحاً مع مجتمعه لعدة أسباب: هو تركيبته البدوية أصلاً فالمجتمع بشكل عام كان يتجه للحضارة بينما كانت تركيبة جهيمان البدوية متمردة على هذا الجانب، أضف إلى ذلك أنّ جهيمان كان يرى أن هذا المجتمع أصبح تظهر عليه علامات قرب قيام الساعة يعني مثل الفتن التي لا تترك بيتاً إلا دخلته، وجهيمان حدد أنواع الفتن في رسالة الفتن وأشراط الساعة وهي الأوراق النقدية -التي هي الصور- والتلفزيون وما شابه فكانت منتشرة. وكان له موقف من هذه المسألة على مستوى المجتمع أو على مستوى الدولة. يضاف إلى هذا أن جهيمان كان ضد العمل في الوظائف الحكومية ويرى العمل في الوظيفة الحكومية يمنع من قول كلمة الحق، وما دام أنك تأخذ من الدولة راتباً فلا يمكن أن تجاهرها بقول كلمة الحق على حد وصفه.

المجلة: هل يمكن أن نقول إن جهيمان هو امتداد فكري لإخوان من طاع الله؟ أم أنه أخذ منحىً مختلفاً عنهم؟

جهيمان يكاد يكون امتداداً فكرياً للإخوان القدماء مع تطوير معين، فلو قرأت أدبيات الإخوان في قضايا التوحيد والعقيدة تجدها نفس أدبيات إخوان من طاع الله لكن يضاف لها بعض القضايا الجديدة. مثل قضية السنة والعمل على تصحيح وتضعيف الأحاديث والأخذ بالأحاديث الصحيحة والضعيفة ونبذ التمذهب.. البعض يرى أن هناك علاقة بين الجماعات التكفيرية الحديثة التي ظهرت أخيراً والتيارات الجهادية، وبين حركة جهيمان ويقولون إن هؤلاء هم أحفاد جهيمان؛ بشكل عام لا نستطيع أن نقول إن الجماعات الموجودة الآن هي امتداد لفكر جهيمان لأسباب عدة من أهمها، إن فكر جهيمان هو فكر خلاصي ولا يملك مشروع إقامة أو تأسيس دولة، فلو اطلعت على رسائل جهيمان ستجده يتحدث عن أن المهدي سيقيم دولة العدل، ولكن أين التفاصيل؟ لا يوجد، بعكس الجماعات الموجودة الآن مثل القاعدة فهم يتحدثون عن تأسيس دولة، والمراحل التي يقطعونها لتأسيس هذه الدولة هي إثارة الفوضى وإرغام الآخر على الاعتراف به لإقامة دولة، لكن أيضاً لا يوجد عندهم مشروع لهذه الدولة، فأنا لا أظن أن الجماعات الموجودة الآن بشكل عام وخصوصاً الجماعات الجهادية أو الجماعات التكفيرية تلتقي مع جماعة جهيمان بشكل كامل، وأنا دائماً أقول إن جهيمان تأثيره على الجماعات التي تلته هو تأثير مرحلة.

المجلة: بعد القبض على جهيمان وقتله، هل بقي أشخاص يؤمنون بالفكرة الخلاصية؛ أم أن هذا الفكر انتهى بنهاية جهيمان؟

ميزة الفكرة الخلاصية بشكل عام، أنها تنتهي حال اغتيال المهدي، لكن البعض يوجد عندهم حالة من التطرف بالإيمان بهذا المهدي وكان معنا اثنان وإلى الآن نحن نذكر اسميهما ونتندر عليهما لأنهما كانا يؤمنان أن المهدي لم يقتل وأنه استطاع أن يهرب وموجود في جبال اليمن، لكن هذا الكلام أصبح من قبيل السذاجة خاصة بعد حادث الحرم.

المجلة: كيف ترى أنت حادثة الحرم؟

هذا الحادث، كان هناك إجماع عالمي على رفضه لأنه حدثت في مكان كان مساسه من المحرمات الكبرى؛ فالحادث وقع في محرم وهو شهر حرام في مكة وهو بلد حرام وضد مسلمين وهو دم حرام؛ فشناعة الحادثة جعلت الجميع يرفضونه حتى التيارات الإسلامية، كثيرون منهم رفضوا هذا الحادث فلا يوجد بيان أصدرته جماعة إسلامية لتأييد حادثة الحرم.

الملحق رقم ٤ - حوار مع الأستاذ ناصر الحزيمي

أجرى الحوار: بدر الراشد

الكتابة عن جهيمان والجماعة السلفية المحتسبة وحادثة اقتحام الحرم هي مقاربات لما هو مستمر ومؤثر، فالحادثة لم تُطوَ بعد وتصبح جزء من التاريخ ما دامت لم تُروَ الكثير من الحقائق حولها، وما زال الكثير من الباحثين يتناولون الموضوع بسوء فهم شديد، خاصةً في منطقة العلاقة بين حادثة اقتحام الحرم وطبيعة أفكار الجماعة السلفية المحتسبة من جهة، وبين حركات الإسلام السياسي أو الحركات الجهادية المحلية التي ظهرت في وقت لاحق من جهة أخرى.

في هذا الحوار نسلط الضوء على بعض النقاط التي ذكرها الأستاذ ناصر الحزيمي في سرد مذكراته حول حادثة اقتحام الحرم، ونظن أنها بحاجة إلى تفصيل أكبر..

ماذا حدث في المدينة المنورة في "حادثة تكسير الصور"؟ ومن فعلها؟ وما نتائج ما فعلوه؟

قضية تكسير الصور حدثت سنة ١٩٦٥م، لا أملك معلومات كاملة عن هذه الحادثة، لكن ما أعرفه أنّ مجموعة من طلاب الجامعة الإسلامية ممن كان لهم حضور في دروس الحرم من دعوة وتذكير وإرشاد، خرج من طلابهم بعد صلاة الجمعة في الحرم المدني وكسروا مجموعة من "المنيكنات" التي كانت في "الفاترينات" ومجموعة من الصور الفوتوغرافية، وأدت هذه المشكلة إلى نزع الجنسية عن عبد الرحمن عبد الخالق وعبد الرحمن عبد الصمد وتسفيرهم إلى الكويت، وكان من المهتمين بالموضوع الشيخ محمد عبد الوهاب البنّا واتضح فيما بعد أنه في جدة، والشيخ منع من سكنى المدينة فيما بعد فسكن جدة.

أنا ذكرتها لأني عندما سألت جهيمان عن تاريخ تأسيس "الجماعة السلفية المحتسبة" ذكر لي أن الجماعة تأسست بعد حادثة تكسير الصور في المدينة المنورة، على أساس عدم وجود دعوة سلفية يلتف حولها الشباب ويذكرون في المساجد إلا جماعة التبليغ، وكانت هناك العديد من الملاحظات عليها، لأنها لم تكن تدعو إلى العقيدة وما شابه، فتم جميع الشباب من أجل التذكير بالدعوة السلفية.

هل كان جهيمان يضمر العداء للدولة منذ تأسيس الجماعة سنة ١٩٦٥م؟

لا.. كان جهيمان يعمل سائق "وايت" في الحرس الوطني ولا يزال على علاقة وظيفية، لكن قضية الدولة بالنسبة لجهيمان موروث من واقعة "السبلة" وكان يكرر "قتل الإخوان في السبلة" و"شهداء السبلة"، لكنها لم تكن دافع لتأسيس الجماعة، بل الحيثيات التي ذكروها عندما دخلوا على الشيخ عبد العزيز بن باز ذكروا أنهم يريدون الدعوة إلى الكتاب والسنة والعقيدة السلفية الصحيحة التي لا يهتم بالدعوة إليها جماعة التبليغ أو الإخوان المسلمين.

هل هناك علاقة بين التيار السلفي في الكويت والجماعة السلفية المحتسبة؟

الجماعة السلفية في الكويت كانت تتحاشى الاتصال بالجماعة السلفية المحتسبة لأن الجماعة السلفية المحتسبة أخذت طابع الخشونة والجمود وعدم التحديث.

ما السيناريو الذي كان يتبعه جهيمان في رحلاته الدعوية إلى القرى والهجر التي ذهب إليها؟ وما مضامين دعوته لسكانها؟ وتجاوبهم معه؟

يكاد أن يكون خطابه تذكيرياً وإرشادياً بحسب المكان الذي يذهب إليه، فيطرح موضوع البدع إن كان المكان يحوي بعضها أو موضوع التمسك بالكتاب والسنة، وغالباً تكون هناك جلسة فتاوى بعد الصلاة، فيفتي جهيمان لأهل تلك القرى والهجر خاصة أنه يعرف المشاكل الفقهية التي يطرحها أهل تلك المناطق من الناس البسطاء.

كيف تقرأ الخريطة القبلية والمناطقية لأتباع الجماعة السلفية المحتسبة؟

الجماعة السلفية المحتسبة يغلب على نسيجها عدم التجانس، فهم بين أفراد من أهل البادية وآخرين من حواضر جدة ومكة وبعضهم من ضواحي المدينة، فالجماعة يغلب عليها عدم التجانس من هذه الناحية، لكن صوت الجانب البدوي فيها هو الأعلى وحاضر بصورة كبيرة، فيكاد أن يكون هناك خضوع لأهل الحواضر لتلك الرؤية.

في حديثك حول التنافس على المتدينين حديثاً أشرت إلى صراع بين القطبيين والبناويين والتبليغ.. ألم يكن طلب العلم لدى العلماء السلفيين التقليديين جاذبية بالنسبة للشباب؟

في تلك الفترة كان الإسلام الحركي هو الغالب فالكتب والمؤلفات العلمية نادرة جداً.

فتلاحظ أن كتب الإخوان المسلمين في تلك الفترة تكاد أن تدور حول الحراك الإسلامي والعذابات التي يتعرض لها المسلمون، وأعداء الإسلام من الفرق والتيارات الحديثة كالشيوعية والاشتراكية والقومية فاعتبروهم خصوماً، وكانت المؤلفات عنهم كثيرة. الكتب الفقهية التي كانت موجودة يغلب أنها تعرضت إلى قضايا فقهية كالصلاة مثل كتاب الشيخ ناصر الدين الألباني **صفة صلاة النبي**.

لم تظهر في تلك الفترة كتب على مستوى الخطاب السلفي تتطرق للقضايا الحديثة، إلا كتبهم التي أصدروها ضد التصوف والتمذهب والردود على الكوثري.. فكانت الكتب محدودة ومواضيعها محدودة فلم تكن مغرية لأغلب طلاب العلم.

كان الجدال الدائر بين السلفيين وبين الإخوان المسلمين أنّ العالم الإسلامي يتعرض لأزمات وهجمات، والسلفيين يردون على الصوفية والمعتزلة والجهمية وآخرين ليس لهم وجود، بينما يرد السلفيون أنّ الإخوان المسلمين انهمكوا في الجانب السياسي وتركوا تصحيح العقيدة وصيانة جانب التوحيد.

أشرت إلى حوارات جهيمان مع بعض أفراد التكفير والهجرة أو أنصار السنة وأثرهم على أفكاره.. هل كانت المجموعة المهيمنة على بيت الإخوان متسامحة مع المتدينين من خارج الجماعة السلفية المحتسبة مما أدى إلى تأثرهم بهذه المجموعات؟

في أواخر السبعينات أصبح الشباب الذين جاؤوا من مصر يغلب أنهم تابعين للجماعة الإسلامية، فبعض هؤلاء الشباب انتمى لجماعة التكفير والهجرة أو جماعة الجهاد، وكان لدى الجماعة السلفية نوع من الرويّة والصبر في التعاطي مع هؤلاء، على أمل أن يمنّ الله عليهم بالهداية من خلال الحوار، فتعاطفوا معهم ووفروا لهم الملجأ والعمل، انطلاقاً من أن هؤلاء يملكون وجهة نظر وإمكانية الرد على طرحهم والتعامل معه.

كيف تقرأ تداخل الأصولية النجدية "الفقه النجدي" بالظاهرية "الشيخ بديع والشيخ المزروعي" بأهل الحديث ممثلة بالشيخ الألباني، وعلاقة هذا التداخل بالجماعة السلفية المحتسبة؟

لاحظ أن أهل الحديث والسلفيين منذ ظهورهم في الفترات المبكرة من التاريخ إلى الآن يكاد أن يكون خطابهم النصي متقارب، فكل الجماعات المذكورة تعتمد على ظاهر النص مع اختلافات بسيطة، والرؤية ظاهرة هذه الموجودة مبكراً لدى الجماعات السلفية، كانت مؤكدة أكثر في الجوانب العقدية، ثم انسحبت على الجوانب الفقهية كالظاهرية على سبيل المثال، وكانوا يتعايشون وينسقون الجهود فيما بينهم، فالحلف الذي كان بين عوام الحنابلة وبعض الظاهرية مثل أبو بكر محمد بن داود كان مستغرباً، فكان محمد بن داود يحرض عوام الحنابلة على ابن جرير الطبري لأن كلهم يتفقون على الأخذ بظاهر النص، فكان هناك تعايش ونوع من الرضا الضمني بأطروحات المذهب الظاهري لدى الجماعة السلفية المحتسبة وإمكانية التنسيق معه على أساس أنه مذهب أهل الحديث، لاحظ أن ابن حزم يكاد أن ينادي بنفس ما تنادي به الجماعة السلفية المحتسبة من الأخذ بظاهر النص في الكتاب والحديث ونبذ التمذهب، مع خلافات بسيطة فيما جاء لدى الظاهرية من شذوذ لم يتقبله كل السلفيين.

لو أخذنا بوجهة نظر الجماعة السلفية فيمن يأخذ بظاهر النص في العقيدة، نجد أنهم يتعاطفون معها كما حدث في التعاطف مع جماعة أنصار السنة، مع أنهم يكادون أن يكونوا جهالاً في علوم الحديث لأن جهدهم منصب على العقيدة.

تعددت قراءات الحدث "احتلال الحرم" عربياً وغربياً بين راصد لها في سياق الخطاب الاحتجاجي على التهميش القبلي أو محاولة وضعها في سياق إخوان من طاع الله، كيف تقرأ هذه القراءات؟

حقيقة هذه الحركة غريبة جداً وأطلقت عليها اسم "حركة احتجاج ملحمي"، بمعنى أن هذه الحركة حتى وهي تحمل السلاح وتبايع بين الركن والمقام للمهدي، كأن برأسها أننا في نهاية التاريخ ولابد من خروج المهدي، وعندما تنعقد البيعة له لابد أن يأتي لهذه المجموعة جيش من تبوك فيخسف به في الطريق، وينضم بعض هذا الجيش لهذه الحركة، ويخرجون من الحرم ويذهبون إلى المدينة ويخرج المسيح الدجال فيقاتلونه ثم يقاتلون اليهود في فلسطين، ثم يذهبون إلى جامع دمشق في الشام فينزل إليهم عيسى بن مريم، فيصلّي خلف المهدي.

فهذه الرؤية موجودة في أحاديث الفتن والملاحم، فهم كانوا يراهنون وبالذات جهيمان على هذا السيناريو، لهذا السبب لا يوجد من خلال رسائل جهيمان أي بيان أو مشروع لهذه الجماعة، فلا يوجد مشروع إقامة دولة أو القيام بقضية الأمر لمعروف أو نهي عن منكر، لأنهم يمتلكون خط سير مرسوم من الأحاديث النبوية، وهذا ينفي قضية التأثر اليساري أو القومي العروبي أو أنهم امتداد لإخوان من طاع الله.

قد تكون قضية السّبلة محرضاً لهذه النتيجة، لكن هذه النتيجة ودخول الحرم رسمت لنفسها سيناريو ملحمي خاص فيها، ويجب أن نفهمها في هذا السياق.

وما يرجح التأثر بالسبلة كلام جهيمان عندما تكلم في رسالة "الإمارة والبيعة" تحدث عن عدم ثقته بالدولة لأنهم قتلوا إخوان من طاع الله في السبلة، وأنّ إخوان من طاع الله على حق لأنهم أرادوا مجاهدة الكفار والمشركين في العراق والنصارى، وكانوا يريدون استمرار الجهاد والذهاب إلى العراق لتكسير القبور والأضرحة.

هل فكرة الحاكمية قديمة لدى جهيمان؟

لا يمتلك جهيمان فكرة حاكمية متنامية، فكرة الحاكمية لديه تكاد أن تكون حاكمية ملحمية، بمعنى أن جهيمان لم يطرح قضية تكفير الحاكم وإنما طرح قضية إمكان الخروج على الحاكم دون تكفيره.

ألا توجد الحاكمية الملحمية عند حركات أخرى خاصة أن فكرة الملحمة يؤمن بها غالب أهل السنة والجماعة بهذا الترتيب الملحمي؟

لا أعرف عبر التاريخ أن هناك حركات استمدت مشروعها من خلال كتب الفتن والملاحم، ما عدا مجموعات ودول قامت على أساس الدعوة إلى المهدي، لكن لا يوجد بهذا السيناريو الدقيق، والذي جاء في أحاديث الفتن من استعمله حتى يتخذ الخطوة التالية بناءً عليها.

ما هي القضايا التي كان يتدارسها جهيمان مع المنتمين لإخوان في مكة في بدايات التحاقك بهم في عام ١٩٧٦م؟

الجانب المطروح الأهم هو التمسك النصي والحرفي بظاهر السنة والعمل على ذلك، وأنا لا أعرف في مكتبات الإخوان من كان يهتم بالفقه، فكانت بضاعتهم من الفقه مزجاة وتكاد أن تكون معدومة، فلا أذكر أنّ أحداً يملك في بيته كتب فقه معتبرة إلا الشيخ علي المزروعي، الذي كان يتدارس الفقه ويمتلك أمهات الكتب ككتاب **المحلّى** وكتاب **المُغني** وبعض الكتب، أما الباقين فكان عملهم يكاد أن يكون إرشادي وأخلاقي والبحث عن كل ما يستطيعون الوصول إليه من أحاديث الرسول ودلالاتها، لدرجة أنهم اقتنعوا في يوم من الأيام أنه يجب أن يصلّي المسلم بالنعال على الأقل مرة في حياته بالمسجد، فذهبوا إلى المسجد الحرام وصلوا بنعالهم، مما أدى إلى مشاكل مع الآخرين من رواد المسجد الحرام الذي استنكروا هذا الفعل، فلم يهتموا بيوم من الأيام بردود فعل الناس أو بالتحولات أو قضايا المصلحة والسياسة الشرعية.

يعتقد جهيمان في رسالة "رفع الالتباس عن ملة إبراهيم" أن أساس الدعوة في ملة إبراهيم أنها تحث على المجاهرة والمصادمة مع المخالف، والمجاهرة بما يرون أنه حق، فإذا اقتنعت بهدم محاريب المساجد أو لبس النعال في الصلاة فيجب أن تمارس هذه القناعة ولا تعير بالاً لمن يخالفك.

ألم تكن هذه الفكرة موجودة عند "النوّاب" أو من يحاول إنكار المنكرات من خارج الجماعة السلفية المحتسبة؟

لا.. غالباً كان هناك تسديد ومقاربة، فكثير من العلماء كانوا يأخذون بمبدأ سددوا وقاربوا.. وحدثوا الناس بما يعقلون، فكانوا يراعون المصلحة في كثير من الأمور، لكن الجماعة السلفية المحتسبة فهمت المصلحة على انها ما جاء به الرسول، وأننا نفهم المصلحة كما فهمها الصحابة في عصر الرسول.

أشرت إلى تشوقك لرؤية جهيمان بسبب ما سمعت عنه قبل اللقاء الأول به أثناء الحج.. ما سبب تولد هذا الشغف برؤية جهيمان؟ وما انطباعك الأول عنه في تلك الفترة؟

هذه المسألة ليست عندي فقط، فهذا الأسلوب اكتشفه كثير من الأحزاب والجماعات والدعوات، اكتشفوا إمكانية صناعة الرمز من خلال السمعة وتحضر لهذا الرمز.

فكنت أجلس مع شخص يدعى عبد الله الحربي، وكان يحدثني عن جهيمان وكأنه أسطورة.. وكأنك ستشاهد أحد الصحابة. حامد الأحمدي طبق معي نفس الأسلوب. هذا الأسلوب مؤثر في صناعة الرموز لدى الشباب الأحداث، وهذه الطريقة مستمرة إلى الآن في صناعة الرموز من خلال السمعة.

ما هي الأساطير التي حاول الحربي والأحمدي ترسيخها لديك حول جهيمان؟

أخلاقه ومسلكه وحافظته وفهمه، وكأنك تنتظر أحد الصحابة لتراه!!

كيف صنع جهيمان هذه الأساطير وهو لم يُكمل تعليمه ولا يكاد أن يجيد الحديث بالعربية الفصيحة؟

هذه النوعية من الناس موهوبة بالفطرة لأن تكون لديها كاريزما خاصة فيها، يدعم هذه الكاريزما السلوك نفسه، فلا شهادة ولا كثير من الأشياء قد تفيد، فدخل مع جهيمان إلى الحرم دكاترة وأصحاب ماجستير وأطباء، فأين كانت عقول هؤلاء من تمييز الحق عن الباطل!

كيف كانت المنشورات تهرّب من الكويت؟ ومن يتولى تهريبها؟

عبد اللطيف الدرباس هو الذي كان يهرب المنشورات، وهو كويتي كان ساخطاً على السلفيين لأنهم لا يمثلون الروح الحقيقية للسلفية بشظف العيش والخشونة.. إلخ.

وعندما قرر الإخوان طباعة الرسائل هو الذي تولى المهمة، وكان قد مزّق كل أوراقه التي تحوي صور ويتردد على الكويت وكان أعرف الناس بالطريق إليها. وقد طبعت رسالة "رفع الالتباس عن ملة إبراهيم" في الكويت لأن الإخوان توقعوا ألا يُسمح بطباعتها محلياً، لأن الطباعة تستلزم وجود إذن، وكانوا يتوقعون عدم قدرتهم على طباعتها لوجود اسم جهيمان عليها.

ومن بعد طباعة "رفع الالتباس" كانت تطبع كل الرسائل في الكويت، وهو كان يتولى تهريبها.

هل لديك أي فكرة عما قيل حول لقاء الكاتب الكويتي عبد الله النفيسي بجهيمان؟

حسب كلام عبد اللطيف الدرباس وعبد العزيز السدحان، لأن السدحان مسك مع النفيسي في تلك القضية.

فإن عبد الله النفيسي كان يرغب وحريص على رؤية جهيمان آنذاك، وكان النفيسي وقتها ممنوع من السفر ومسحوب منه جوازه، بسبب كتابه **الكويت.. الرأي الآخر** على ما أظن، فركبوا في أكثر من وانيت مع عبد اللطيف الدرباس وبيدو أنهم كانوا مرصودين، لأن هذه الرحلة ليست الأولى لأن الرسائل وزعت في رمضان وطبعت الرسائل الأربعة، فتم التشديد على الحدود ووقتها تم القبض على النفيسي وأخذ إلى الدمام، ثم طلبته الكويت أو عيال عمه وعاد إلى الكويت ويبدو فيما بعد سُمح له بالسفر.

ما السبب الذي دفع الإمارة لاستصدار أمر باعتقال جهيمان العتيبي في المرة الأولى؟

يبدو أن السبب تقرير كيدي من أحد المناوئين لهم، على ضوءه ثيل أن لديهم مستودعات سلاح ويتدربون على السلاح، وعلى ضوء هذا التقرير تم الاعتقال الأول وبسبب هذا الاعتقال هرب جهيمان.

عندما حدث الانشقاق داخل الجماعة واستفرد جهيمان بأغلب الأفراد.. ماذا فعل بهم؟

عندما أصبح جهيمان هو القائد الفعلي، انعدمت الرقابة على منهج جهيمان، فمن كان يوقف اندفاعها، كلهم يكادون أن يكونوا قد انسحبوا، خاصة المؤسسين الأولين للجماعة. فأكد جهيمان على منهجه في منهجه بالمصادمة للدولة والمجاهرة بالرأي في القضايا أكانت سياسية أم فقهية.

لماذا عدت إلى الرياض بعد الاعتقال الأول وأنت لم تكن مطلوباً آنذاك؟

بيت الإخوان في المدينة أصبح تحت إدارة الشيخ أبو بكر الجزائري، كنت أنا محسوب على جهيمان فلم يعد لي شيء في المدينة.

هل كان للجماعة حضور تنظيمي في الرياض؟

نعم.. كان لهم بيتان، أحدهما بالقرب من مسجد الرويل وهو البيت الرئيسي، المسجد الذي كان يخطب فيه محمد بن عبد الله القحطاني، وبيت آخر جهة العود.

كيف كان امتداد وتأثير الجماعة السلفية المحتسبة على الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة والرياض؟

لم يكن لهم حضور في الحياة الاجتماعية في تلك الفترة، يكادون أن يكونوا في الحرة الشرقية في المدينة في حالة عزلة وعملوا لأنفسهم مجتمعاً خاصاً بهم، فكانت الحرة الشرقية في وقتها منطقة عشوائية فالكهرباء لم تدخل للمنطقة إلا متأخر بشكل بدائي، وكانت الحرة الشرقية آنذاك في طرف المدينة.

متى طرحت قضية المهدية لمحمد القحطاني داخل الجماعة لأول مرة وكيف تم نقاشها؟

لا أعرف من أول من طرحها، ولكني أعرف أنها مطروحة مبكراً فكان أكثر ممن هم من شباب مسجد الرويل يتحدثون في مهدية القحطاني. وأنا سمعت هذه الكلمة من أخوه سعد، الذي قال لي العبارة مازحاً: "صفات المهدي تنطبق على عبد الله"، ولم آخذ كلامه على محمل الجد ساعتها، هذا الكلام سنة ١٩٧٨م.

وتم تفعيل القضية بشكل أكبر في ١٩٧٩م، ففي المرة الأولى قالها لي سعد ضاحكاً، فأخذنا القضية وكأنها مزحة.

هل كان جهيمان يرد على علماء بعينهم في رسائله؟

لا.. ولكنه كان يقدم خطاباً عاماً، لا يقصد فيه أحداً بعينه. لكن معروف أنه يقصد هنا علماء يعملون في الدولة من المشايخ داخل المؤسسة الرسمية.

ما المنهجية العلمية التي استخدمها جهيمان في التعامل مع النصوص الشرعية؟

لو قرأنا نصوص جهيمان فهي لا تحتاج منهجية، فآلية التعامل مع النصوص نصية ومع ظاهر النص، فلا يحتاجون إلى أي تعقيد في المسألة. فعند قراءة نصوص جهيمان تجدها عارية من الفقه، وعارية من النقل لآراء الفقهاء ما عدا بعض آراء ابن تيمية وابن القيم. فالجماعات النصية لا أستطيع أن أقرأ أنهم يتميزون بمنهجية لأن النص يعبر عن نفسه.

أين وجدت نصوص "رسائل جهيمان"؟

أنا استعنت بالنصوص التي جمعها رفعت سيد أحمد، وهو كتاب سقيم لأن رفعت سيد أحمد وقع في الكثير من الأخطاء في المقدمة أو في الرسائل، لأنه نسب الكثير إلى جهيمان وهي ليست له، ولم يعرف أهم رسالة وأهم رسالة وأول رسالة ألا وهي "رفع الالتباس" وكان محتاراً بها.

من كتب الرسائل من الجماعة السلفية المحتسبة غير جهيمان؟

من ضمن مَن ألّف الرسائل والمنشورات وكتب اسمه عليها عبد المحسن الواحدي، ومحمد عبد الله القحطاني له رسالة وله قصيدة كذلك.

هل مر جهيمان بتحولات فكرية يمكن رصدها خلال علاقتك به؟

هناك نقطتان تمسّك بها جهيمان من البداية وقبل الاعتقال الأول.

الأولى أنه كان متمسكاً بقضية الرؤى وأنها جزء من النبوة وأنه يجيب تعبير الرؤى.

والنقطة الثانية أنه يرى منذ البداية من قبل أن أعرفه حتى، أننا في آخر الزمان، فكانت هذه القضية مبكرة لدى جهيمان، وهذه الآخرية يجب أن تنتهي. فكانت للرؤى قوة أشبه بقوة النص أحياناً لدى الجماعة السلفية المحتسبة!

أما التغير المحوري لدى جهيمان فكان في عزلته عندما أصبح مطارداً، فأوصلته ذهنية إلى هذا الحل "دخول الحرم" للخلاص، فاقتنع أنّ محمد بن عبد الله القحطاني هو المهدي، وكان يجب أن يصل للنقطة الخلاصية في المسألة.

لماذا تبرّم جهيمان من دخول أفكار شكري مصطفى وجماعة التكفير والهجرة إلى الإخوان؟

جهيمان عنده عقدة من أن تُرمى الجماعة بأنها على منهج الخوارج، بسبب أنّ إخوان من طاع الله رموا بهذا الشيء وأنهم على فكر الخوارج.

فلما جاء بعض المصريين إلى المدينة وبعضهم ينتمي إلى التكفير والهجرة، واستطاع بعضهم من خلال نقاشه مع فيصل محمد فيصل أن يتبنى هذا الفكر، حول الفكر المطلّ، فحكى جهيمان للشيخ الألباني عمن وقعوا بهذا الفكر خصوصاً فيصل وعصام شيخ، فنبه الألباني فيصل إلى وجود كفر دون كفر وأن ابن تيمية يتبنى هذا الرأي، وأشار إليه في كتاب الإيمان، ومن خلال هذه الجلسة التي جمعتهم وكان معهم جهيمان ويوسف أكبر الذي سجل هذه

الجلسة، فأتلف جهيمان هذا الشريط خوفاً من أن يقع في يد أحد ويتّهم الجماعة بأنهم من الخوارج، وقد تراجع عصام شيخ وفيصل محمد فيصل عن هذه الأفكار بعد تلك الجلسة.

ما سبب انعكاس موقف المشايخ من الشيخ علي المزروعي حول نبذ التمذهب ورفض آراء الصحابة في بعض القضايا على عموم الإخوان مع أن حضور جهيمان كان أوضح وأكثر محورية؟

كان الشيخ علي المزروعي يناقش هذه القضايا في الحرم، وقد بلغت إدارة الحرم بهذا من قبل البعض.

وهذه القضية التي يتبناها الإخوان من نبذ المذاهب وعدم التقليد وأخذ رأي أي أحد من الصحابة في القضايا الفقهية والاقتصار على الكتاب والسنة، وهذا سابق على الشيخ المزروعي، فهذه القضية داخلة ضمن نصوص الجدال مع المتمذهبين.

لماذا لم يلتقِ جهيمان بالشيخ أبو بكر الجزائري قبيل الانشقاق داخل الجماعة؟

أنا حضرت ذلك اللقاء، وحضره أحمد المعلم وناصر بن حسين وهم أعضاء مجلس شورى الجماعة، والشيخ أبو بكر الجزائري ومجموعة من مشايخ الحرم والجامعة الإسلامية.

كانت لدى جهيمان خلافات قديمة مع الشيخ أبو بكر الجزائري حول مجموعة من القضايا التي سيناقش فيها الشيخ الجزائري الجماعة في ذلك الاجتماع، وكان جهيمان يرى أن تلك القضايا محسومة بالنسبة له، ويعرف آراء الشيخ أبو بكر الجزائري حولها فلن يقدم الحوار معه أي شيء أو يؤخر، بالإضافة إلى جهيمان يرى أن الشيخ يريد أن يحافظ على جنسيته السعودية ولا يريد أن يثير المشاكل عليه.

وبسبب خلافات جهيمان مع الشيخ أبو بكر الجزائري، قام أحمد الزامل بفض شراكة له مع الشيخ في مخبز كانا قد تشاركا فيه!

بماذا فسر الشيخ عبد العزيز النجدي التحول الذي أصاب زميله في طلب العلم عبد الله القصيمي؟

يرى الشيخ عبد العزيز بن راشد أن سبب تحول عبد الله القصيمي من رجل وهابي إلى رجل ساخط على الدين هو الجدال الذي دار بينه وبين مشايخ الأزهر، الذي كان جدالاً حاداً وصل إلى أمور يرى الشيخ ابن راشد أن القصيمي لم يكن محصّناً تجاهها بصورة جيدة، فيرى الشيخ أن مشايخ الأزهر هم السبب في تحول القصيمي عن الدين بسبب الشبه التي ألقوها عليه وألزموه بها.

في اللحظة التي ألقى فيها خالد اليامي خطبة الحرم وطلب المبايعة للمهدي "محمد بن عبد الله القحطاني"، هل بايع أشخاص من خارج أتباع الجماعة السلفية المحتسبة ممن كانوا في الحرم لحظتها؟

لا أعرف بالضبط، لكن كان هناك مجموعة من عوام الناس خطب فيهم نور الدين ولد الشيخ بديع الدين، وكان يخطب بالأردو وكانوا باكستانيين، وعندما يخطب بهم وأن هذا هو المهدي كانوا "يهوّسون" فرحاً بالمهدي.

لكن باقي الناس كانوا من العوام ولم يورطوا نفسهم في هذه المسألة ولم يبايعوا.

هل كان هناك قادة عسكريون في احتلال الحرم غير جهيمان؟

لا أعتقد أنهم خططوا لشيء من هذا القبيل، فالخطة على ما يبدو كانت في رأس جهيمان خاصة أنهم لم يتوقعوا أن الموضوع سيطول، فالقضية في رأيهم لم تكن لتتعدى ثلاثة أيام ولم يتوقعوا ان تطول إلى ١٥ يوماً. حتى أن جهيمان كان ينادي على بعض الأسماء ويطلبهم من الجماعة السلفية المحتسبة ولم يجيبوه، فكان بعضهم في السجن وآخرون لم يتكمنوا من دخول الحرم، وهذا دليل على أن جهيمان لم يكن يملك معلومات كاملة عن المجموعة التي كانت معه.